الفصل الخامس

الإعجاز فى ضوء علم البديــع

تمهيد وفيه :

أولاً: تعريفه .

ثانياً : واضعه .

ثالثاً : المحسنات المعنوية واللفظية .

المبحث الأول : نماذج تطبيقية للمحسنات المعنوية .

(أ) المطابقة

(ب) المقابلة

(ج) (التناسب) ويسمى التشابه أو الائتلاف

(د) المذهب الكلامى

(هـ) الجمع

(و) التفريق

(ز) التقسيم

(ح) الجمع والتفريق

(ط) الجمع والتقسيم

(ك) اللف والنشر

(ل) النزاهة

(م) التورية

(ن) الالتفات

المبحث الثانى: نماذج تطبيقية للمحسنات اللفظية

بين يدى المبحث

(أ) الجناس

(ب) ائتلاف اللفظ مع اللفظ

المبحث الثالث : الفاصـــلة

تمهـيد

أولاً : تعريـفه :

البديع لغةً : بدع: بدَع الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعاً وابْتَدَعَه: أَنشأَه وبدأَه. وبدَع الرَّكِيّة: اسْتَنْبَطَها وأَحدَثها. ورَكِيٌّ بَدِيعٌ: حَدِيثةُ الحَفْر. والبَدِيعُ والبِدْعُ: الشَّيْءُ الَّذِي يَكُونُ أَوّلًا. وَفِي التَّنْزِيلِ: قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ . (١)

وسُمِّى بديعاً ، لأن أصل الإبداع : الإحسان ، إحسان الشىء إبداعٌ له ، فَسُمِّى البديع " فَعِيل " بمعنى " مفعول " يعنى مُبْدَع ، فهو مُحسَّنٌ ، فعِلْمُ البديع هو تحسين للألفاظ . (٢)

واصطلاحاً :

علم تعرف به الوجوه والمزايا التى تكسب الكلام حسناً وقبولاً ، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال التى يورد فيها ، ووضوح الدلالة على ما عرفت فى العِلْمَيْن السابقين . (٣)

تعريف كتاب البلاغة الواضحة :

وهناك ناحية أخرى من نواحى البلاغة ، لا تتناول مباحث علم البيان ، ولا تنظر فى مسائل علم المعانى ، ولكنها دراسة لا تتعدى تزيين الألفاظ أو المعانى بألوان بديعة من الجمال اللفظى أو المعنوى ، ويسمى العلم الجامع لهذه المباحث بعلم البديع . (٤)

(**قلت**) : والتعريف السابق فيه نظر ، ذلك لأن قصر علم البديع على تزيين اللفظ بحيث لا يتعداه من مطابقة لمقتضى الحال ، يذكرنا بحمرة الورد البلاستيكى الاصطناعية ، فهى لا تعدو أن تكون ألواناً ملطخة لا روح فيها ولا عبق ، وعلى النقيض من ذلك حمرة الورد الطبيعية ، فلونها يروق للناظر ، فإذا رنا إليها أتحفته بشذا عَرْفها ، فاللون والعَرْف موصولان بالأصل ، وكذلك البديع موصول بمقتضى الحال ، وإلا فهو صِنفٌ من التكلف ، وضربٌ من التصنّع .

مثال عام :

القرآن الكريم سماه الله مثانى ، فالله ﷻ إذا ذكر الوعد ثنّى بعده بالوعيد وكذلك الجنة والنار ، والكفر والإيمان ، وهكذا ، وهذا كله يدخل فى باب الطباق والمقابلة ، ومن التجنى بمكان أن نقول إن هذه المقابلات تُزين اللفظ ، دونما أن يكون فى إبرازها للمعنى ، وزيادة وضوحه خدمة لمقتضى الحال ، والحال أن النفس تسكن بذكر المقابلات ، فلو ذكر الوعيد وحده يأس المرء من رحمة الله ، ولو ذكر الوعد وحده تجرأ العبد على حدود الله .

---

(١) ابن منظور – لسان العرب – كتاب العين المهملة فصل الباء – (بدع) – (٨ / ٦) .

(٢) ابن عثيمين – دروس البلاغة – (١٤٥)

(٣) المراغى – علوم البلاغة – (٣١٨/١)

(٤) على الجارم – البلاغة الواضحة – دار المعارف . مصر – د . ت – (٢٦٣)

مثال خاص : ذكر السيوطى فى مبحث ائتلاف اللفظ مع اللفظ وائتلافه مع المعنى قوله تعالى :

﴿ تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ﴾ [يوسف/٨٥]

وقال : أتى بأغرب ألفاظ القسم وهى " التاء " ، فإنها أقل استعمالاً ، وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو ، وأغرب صيغ الأفعال التى ترفع الأسماء وتنصب الأخبار ، فإن " تزال " أقرب إلى الإفهام وأكثر استعمالاً منه ، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهوّ الحَرَضّ ، فاقتضى حسن الوضع فى النظم أن تجاور كل لفظة بلفظةٍ من جنسها فى الغرابة ، تَوَخِّياً لحسن الجوار ورغبةً فى ائتلاف المعانى بالألفاظ ، ولتتعادل الألفاظ فى الوضع وتتناسب فى النظم . (١)

(**قلت**) : كلام السيوطى ينسحب بالدرجة الأولى على ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، ولكنه لم يبّين نقطة التلاقى بين اللفظ والمعنى ، واكتفى بكلام عام فقال : " ورغبة فى ائتلاف المعانى فى الألفاظ " انتهى

لكننى أرى – والله أعلم – أن الائتلاف يكمن فى أنهم لما استغربوا طول حزن أبيهم على يوسف – عليه السلام – مع طول الأمد فناسب ذلك أن يأتوا بالألفاظ الغريبة المتآلفة التى تخدم وترعى مقتضى الحال ، وفى ذلك دليل واضح على أن المحسنات البديعية لا تنفك عن رعاية مقتضى الحال .

ثانياً : واضعه

(٢) واضعه : أول من دوّن قواعده ووضع أصوله عبد الله بن المعتز العباسى المتوفى سنة ٢٧٤ هـ ، فقد استقصى ما فى الشعر من المحسنات ، وألّف كتاباً ترجمه باسم " البديع " ذكر فيه سبعة عشر نوعاً ، وقال : " ما جمع قبلى فنون البديع أحدٌ " ، ولا سبقنى إلى تأليفه مؤلف ، ومن رأى إضافة شىء من المحاسن إليه فله اختياره " .

ثم ألف معاصره جعفر بن قدامة كتاباً سماه " نقد قدامة " ذكر منه ثلاثة عشر نوعاً زيادة على ما أملاه ابن المعتز .

ثم جاءت التآليف تترى ، فألف فيه أبو هلال العسكرى ، ثم ابن رشيق القيروانى فجمع مثلها فى كتاب " العمدة " ، ثم جاء شرف الدين النيفاشى فبلغ بها السبعين ، ثم ألفت البديعيات ، فألف زكى الدين بن أبى الإصبع بديعيته ، وأوصل الأنواع إلى التسعين ، ثم جاء بعده صفى الدين الحلىّ

فأوصلها إلى مائة وأربعين ، ونظم قصيدة ميمية فى مدح النبى ﷺ ، وذكر اسم كل نوع فى بيت ، ومن بعده جاء عز الدين الموصلى فذكر مثل ما ذكره سالفه ، مع زيادة يسيرة من ابتكاره وهكذا ارتفعت التآليف صعداً وزيدت الأنواع ، وكبرت البديعيات فى هذا العلم كبديعة ابن حجة

---

(١) السيوطى – الإتقان – ص (٤٢٣ – ٤٢٤)

الحموى ، وقد شرحها فى كتاب سماه " خزانة الأدب " ، وبديعة عبد الغنى النابلسى ، وقد جاوز بها المائة والستين نوعاً . [1]

(**قلت**) : وذكر السيوطى أن ابن أبى الأصبع أورد فيه نحو مائة نوع . [2]

ثالثاً : المحسنات المعنوية واللفظية :

تنقسم المحسنات إلى قسمين :

(أ) **محسنات معنوية** : وهى التى يكون التحسين بها راجعاً إلى المعنى أولاً وبالذات ، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضاً – أى تبعاً – كالطباق بين " يُسِّر " و " يُعْلِن " فى قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة / ٧٧] ، وعلامتها : أنه لو غير اللفظ بما يرادفه فقيل مثله : يعلم ما يخفون وما يظهرون لم يتغير المحسِّن المذكور

(ب) **محسنات لفظية** :

وهى التى يكون التحسين بها راجعاً إلى اللفظ أصالة ، وإن حسّنت المعنى أحياناً تبعاً ، كالجناس فى قوله تعالى :﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ﴾ [الروم /٥٥] ، فالساعة الأولى يوم القيامة ، والساعة الثانية واحدة الساعات الزمنية ، وعلامتها : أنه لو غير اللفظ الثانى إلى ما يرادفه زال ذلك المحسِّن ، فلو قيل : ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا إلا قليلاً لضاع ذلك الحُسن . [3]

---

(١) المراغى – علوم البلاغة – (١ / ٣١٨ – ٣١٩)

(٢) السيوطى – الإتقان – (٤١٦)

(٣) المراغى – السابق – (١ / ٣١٩)

(المبحث الأول)

نماذج تطبيقية للمحسنات المعنوية :

(أ) المطابقة :

قال السيوطى : وتسمى الطباق : الجمع بين متضادين فى الجملة

وهو قسمان : **الأول** حقيقى ومجازى **والثانى** : التكافؤ

وكل منهما إما لفظى أو معنوى ، وإما طباق إيجاب أو سلب

ومن أمثلة ذلك – وهو الحقيقى – : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى .وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم / ٤٣– ٤٤]

ومن أمثلة المجازى : ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [الأنعام / ١٢٢] أى : ضالاً فهديناه

ومن أمثلة طباق السلب : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة / ١١٦]

ومن أمثلة المعنوى : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ [يس/١٥–١٦]

معناه : ربنا يعلم إنا لصادقون . (١)

قال ابن المعتز: " قال الخليل – رحمه الله – :"طابقت بين الشيئين:إذا جمعتهما على حذو واحد" (٢) وكذلك قال أبو سعيد. فالقائل لصاحبه : أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان، قد طابق بين السَّعَة والضيق في هذا الخطاب. وقال الله تعالى : (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) ، وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للأنصار : " إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع" ، وقال عيسى بن طلحة لعروة بن الزبير حين ابتلي في رجله: إن ذهب أهونك علينا فقد بقى أعزك علينا، فطابق –كما ترى– بين العز والهوان " (٣)

والطباق : هو الجمع بين لفظين متقابلين فى المعنى .

وهما قد يكونان **اسمين** ، نحو قوله تعالى : ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾[الحديد/٣]

وكقوله :﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف/١٨]

أو **فعلين** ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى .وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾[النجم/٤٣–٤٤]، وكقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى/١٣] ، أو **حرفين** ، نحو

---

(١) السيوطى – الإتقان – (٤٣٤– ٤٣٥)

(٢) الخليل بن أحمد – العين – باب القاف والطاء والباء (طبق) – (٥ / ١٠٩) .

(٣) ابن المعتز – البديع – (١ / ١٢٤ : ١٢٥) .

قوله تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيهِنَّ بِالمَعرُوفِ ﴾ [البقرة/٣٢٨] ، أو **مختلفين** ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد/٣٣] ، ونحو قوله تعالى : ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [الأنعام/١٢٢] ، فيكون تقابل المعنيين وتخالفهما مما يزيد الكلام حسناً وطرافة. (١) والطباق لا يكون إلا بالأضداد خلافاً للمقابلة . (٢)

*** نماذج من السورة :**

قوله تعالى : ﴿ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ ﴾ [القصص/٣]

*** القيمة الإيحائية للطباق أو رعاية المحَسِّن لمقتضى الحال :**

ذكر موسى الكليم عليه السلام فى مقابل فرعون اللئيم ، طباق يخدم مقتضى الحال ، فالسورة مبدؤها ومنتهاها حكاية لصراع الحق والباطل ، وهو ما أفاده هذا الطباق فى صدرها ، فكأن ذكر هذا التطابق لإبراز أهمية هذه القضية والتذكير بها من البداية .

قوله تعالى :﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ ﴾ [القصص/٤]

وقوله تعالى :

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [القصص/٥]

فى الآيتين الكريمتين نلاحظ أن الطباق من النوع المختلف ، لأنه بين أسماء وأفعال ، وكلا الطباقين من النوع المعنوى ، لأن الاستضعاف معناه التسّفل فى مقابل العلو ، ومعناه : المأموم فى مقابل الإمام

رعاية المحسِّن لمقتضى الحال :

سبق أن ذكرنا أن سياق السورة الصراع بين الحق والباطل ، والطباق فى الآيتين يبرز مدى اتساع الهوة الطبقية بين أهل الحق ، وأهل الباطل ، ويبرز كذلك حالة الاستقطاب الواسعة بين طرفى الصراع .

قوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ [القصص/١٥]

فى الآية نلاحظ أن الطباق كرر مرتين بين من شيعته ومن عدوه ، ومعلوم أن العدو كان كافراً ، والذى من شيعته كان إسرائيلياً موحداً ، وجاء فى بعض التفسيرات أن القبطى تعدى على

---

(١) الهاشمى – جواهر البلاغة – (٢٦٦ – ٢٦٧)

(٢) السيوطى – الإتقان – (٤٣٥)

الإسرائيلى ، وهو ما دفع موسى عليه السلام للانتصار له [1] ، وهذا كله يدخل فى إطار الصراع بين الحق والباطل ، بيد أن مداه فى هذا السياق قليل ، ودائرة الصراع فيه محدودة .

*** رعاية المحسَّن لمقتضى الحال :**

نلاحظ : (١) الطباق جاء يرسخ عند الملتقى أن الصراع لم يخرج عن نطاق صراع الحق والباطل ، المتمثل فى ﴿ الَّذِى مِن شِيعَتِهِ ﴾ ، و ﴿ الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ ﴾

(٢) وجاء تكراره اعتذاراً لموسى عليه السلام الذى عُهِد عليه ألا ينتصر إلا للحق ، وبيان ذلك أن المتلقى إذا تكرر على سمعه لفظ " شيعته " مرتين انقدح فى ذهنه معنى المصافاة والموالاة

وإذا تكرر عليه لفظ " العدو " مرتين يدور فى خَلْده ، ويُلْقَى فى رُوعه معنى المعاداة والبراء ، وبذلك لا يظن ظن السوء بالنبى الكريم ، سيما إذا علم أن العدو كان قبطياً مشركاً صائلاً متعدياً ، وأن موسى عليه السلام لم يعمد إلى قتله ، بل أراد كف أذاه عن الإسرائيلى المظلوم ، ولكن الله عز وجل إذا أراد أمراً أصابه .

وفى ذلك ردٌّ على **الأستاذ سيد قطب – رحمه الله –** إذ يقول : والوكز : الضرب بجمع اليد ، والمفهوم من التعبير أنها وكزة واحدة كان فيها حتف القبطى ، مما يشى بقوة موسى وفتوته ويصور كذلك انفعاله وغضبه ، ويعبر عما كان يخالجه من الضيق بفرعون ومن يتصل به .

ويقول فى موضع آخر : وهذه الارتعاشة العنيفة ، وقبلها الاندفاع العنيف ، تصور لنا شخصية موسى عليه السلام شخصية انفعالية ، حارة الوجدان ، قوية الاندفاع [2]

ثم يقول : " ولكن صورة قتيل الأمس كانت ما تزال تخايل لموسى ، وإلى جوارها ندمه واستغفاره وعهده مع ربه ، ثم هذا التوجس الذى يتوقع معه فى كل لحظه أن يلحقه الأذى ، فإذا هو ينفعل على هذا الذى يستصرخه ، ويصفه بالغواية والضلال " [3]

ويقول : " ولكن الذى حدث أن موسى – بعد ذلك – انفعلت نفسه بالغيظ من القبطى ، فاندفع يريد أن يقضى عليه كما قضى على الأول بالأمس ، ولهذا الاندفاع دلالته على تلك السمة الانفعالية التى أشرنا إليها . [4]

ويقول : " طال الظلم ببنى إسرائيل ، فضاقت به نفس موسى عليه السلام حتى رأيناه يندفع فى المرة الأولى ويندم ، ثم يندفع فى المرة الثانية لما ندم عليه حتى لا يكاد يفعله ، ويهم أن يبطش بالذى هو عدو له ولقومه " [5]

---

(١) القرطبى – الجامع لأحكام القرآن (١٣ / ٢٠٩)

(٢) سيد قطب – فى ظلال القرآن – (٥ / ٢٦٨٢)

(٣) نفسه – (٥/٢٦٨٣)

(٤) نفسه – (٥/٢٦٨٣)

(٥) سيد قطب – السابق – (٥/ ٢٦٨٣ .٢٦٨٤)

ويقول : " وهذه العبرة التى تستشف من طريقة التعبير القرآنية عن الحادثتين وما تلاها ، فهو لا يبرر الفعلة ، ولكنه كذلك لا يضخمها ، ولعل وصفها بأنها ظلم للنفس إنما نشأ من اندفاع موسى بدافع العصبية القومية " (١)

ويقول : " هذا خط طويل من الرعاية والتوجيه ، ومن التلقى والتجريب قبل النداء وقبل التكليف ، تجربة الرعاية والحب والتذليل ، وتجربة الاندفاع تحت ضغط الغيظ الحبيس " (٢)

ويقول : " إنها المفاجأة التى لم يستعد لها مع الطبيعة الانفعالية التى تأخذها الوهلة الأولى " ولىّ مدبراً ولم يعقب " ولم يفكر فى العودة إليها ليتبين ماذا بها ، وليتأمل هذه العجيبة الضخمة ، وهذه هى سمة الانفعاليين البارزة تتجلى فى موعدها " (٣)

(قلت) : وما قدمناه من اعتذار لنبى الله موسى عليه السلام ردٌّ على هذا الكلام من سيد قطب ، والذى فيه كثيرٌ من التجنى على أنبياء الله – عليهم السلام– ، ذلك أن سيد قطب رجل أديب أريب ، أُعطِى قلماً سيالاً ، به يعلم مدلولات " الانفعال " و " الاندفاع " " والتعصب للقومية " ، والأمر الآخر أن الأنبياء موصولون بالوحى ، فما كان لهم أن يفعلوا شيئاً إلا بأمر الله ، فيُونس عليه السلام لما ذهب مغاضباً ولم يراجع ربه عز وجل ابتلاه الله بالغرق ، وموسى عليه السلام لما قتل القبطى ، لم يقصد إلى ذلك سبيلاً ، ولم يكن بعث إليه وقتئذٍ ، ولما خاف من الحية ومن القتل ، فهو الخوف الجبلىّ الذى لا يلام عليه أحد ، إنما الخوف الذى يناط باللوم والذم ، هو الخوف المربوط بالعبادة ، كخوف الضر من أحد دون الله عز وجل، وأما دعوى العصبية القومية ، فهى أبعد ما تكون عن عامة المؤمنين ، فضلاً عن الأنبياء والمرسلين ، وقد سئل النبى ﷺ : عن الرجل يقاتل شجاعةً ، ويقاتل حميّةً ، يقاتل رياءً ، أىُّ ذلك فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : " من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله " . (٤)

قوله تعالى : ﴿ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص / ١٩] ، فى الآية طباق بين قوله ﴿ جَبَّارًا ﴾ وقوله : ﴿مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾

رعاية المحسِّن لمقتضى الحال :

---

(١) نفسه – (٥ /٢٦٨٤)

(٢) نفسه – (٥ / ٢٦٩٠)

(٣) المصدر نفسه . (٥ / ٢٦٩٢)

(٤) متفق عليه – اللؤلؤ والمرجان – حديث (١٢٤٤) – البخارى (١٢٣) ومسلم (١٩٠٤) .

نلاحظ أن الطباق أبرز الفارق العميق بين من يتجبر ويحمل الناس على الشر ، وبين من ينصلح ويحمل الناس على الصلاح ، وفى ذلك تذكير لموسى عليه السلام ينبنى عليه استعطافه وترك البطش به وهو ما يناسب حالة الخوف والخور التى انتابت القبطى .

قوله :﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء ﴾ [القصص/٢٣]

فى الآية طباق بين " امْرَأَتَيْنِ " و " الرِّعَاء "

رعاية المحسَّن لمقتضى الحال :

نلاحظ أن الطباق جاء يصور حال موسى عليه السلام وحال الرعاء وحال المرأتين أتم تصوير ، وهاكَ بيانَ ذلك :

(١) أما حال موسى ، فَذِكْرُ المرأتين والرعاء ، قد يكون ترجمة لما انقدح فى نفس موسى عليه السلام الذى فطن برهافة حسِّه ، ورقة قلبه إلى تلك القسمة الضيزى ، التى سوّت بين الضعيف المتضعف والعتل الجواظ المتسلط ، وهذا لعمر الله يدل على عظيم نبله ﷺ أن فطن إلى هذين المتضادين .

(٢) وأما حال المرأتين والرعاء فالطباق جاء لإبراز حالة ضُعفتهما ، وقلة مروءة من حولهما ، وفى ذلك استثارة للمتلقى أن يتعاطف معهما ، وما حلّ بهما .

قوله تعالى : ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾ [القصص / ٣٢]

فى الآية طباق بين قوله ﴿ اسْلُكْ ﴾ و ﴿ تَخْرُجْ ﴾

رعاية المحسِّن لمقتضى الحال :

لما كان الحال حال تعليم وتربية ، وتوطين لنفس موسى عليه السلام على رؤية آيات الله عز وجل أراد الله عز وجل أن يعلمه أن عليه الأخذ بالأسباب ، والله يتولى النتائج ، لأن الله عز وجل حكيم يربط الأسباب بمسبباتها ، فلفظ " اسْلُكْ " جاء بمثابة الشروع فى الأخذ بالأسباب ، ولذلك أسند الفعل إلى ضمير موسى عليه السلام ولفظ " تَخْرُجْ " جاء بمثابة المقادير والنتائج التى يقدرها العليم الحكيم ، والتى ليس للمخلوق تدخلٌ فيها ، ولذلك لم يُسنَد الفعل إلى موسى عليه السلام ، وصار الطباق بمثابة إبراز البون الواسع بين صنع البشر وصنع العلى القدير.

قوله تعالى : ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص / ٣٤]

فى الآية طباق بين " يُصَدِّقُنِي" وقوله : " يُكَذِّبُونِ "

رعاية المحسِّن لمقتضى الحال :

نلاحظ أن هذا الطباق يخدم سياق الصراع بين الحق والباطل ، ولمّا كان نبى الله ﷺ يدعو ربه ويسأله الثبات والتوفيق فى البلاغ ، لم يفته أن يسأله التعضيد والتصديق مخافة التثبيط والتكذيب ، وفى ذلك دليل واضح على حبِّ النفس للتصديق ، وبغضها ونفورها من التكذيب ، وهو ما أفاده الطباق بينهما

قوله تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [القصص /٥٤]

فى الآية طباق بين " بِالْحَسَنَةِ " و " السَّيِّئَةَ " ، وفى ذلك أتم دلالة على حسن أخلاقهم ، وسلامة ما طبعوا وجبلوا عليه . والله أعلم

قوله تعالى : { وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ } [القصص/٦٩]

فى الآية طباق بين " مَا تُكِنُّ " وقوله " وَمَا يُعْلِنُونَ "

رعاية المحسِّن لمقتضى الحال : لما كان السياق تحدُّثاً عن إحاطة وشمول علم الله ﷻ ، ولذلك جاءت الآية قبلها : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص/٦٨] ، والآية تدل على وحدانية الخلق والمشيئة ، ومن كان هذا وصفه ، فلابد من اتصافه بالعلم والإحاطة ، وهذا لازم معنى الآية ، مصداقاً لقوله :

﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق /١٢] ، والطباق جاء يخدم ويرعى هذا السياق ويبرزه فى الآية . والله أعلى وأعلم.

قوله تعالى : ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ ﴾ [القصص/٧٣]

فى الآية طباق بين " اللَّيْلَ" و "النَّهَار"

رعاية المحسِّن لمقتضى الحال : الطباق يبرز الفرق بين حالتى النور والظلمة وما فيهما من فوائدٍ للمخلوقات ، وبأضدادها تعرف الأشياء ، ومن تأمل قليلاً الفرق بين الضدين علم أن ذلك غيضٌ من فيض رحمة الله تعالى ، وهو ما صُدِّرت به الآية ، وهى علة منصوصة لا خلاف فيها .

قوله تعالى : ﴿ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ﴾ [القصص/٨٢]

فى الآية طباق بين قوله : " يَبْسُطُ" ، وقوله : " وَيَقْدِرُ"

رعاية المُحسِّن لمقتضى الحال :

لما كان سياق الآيات هو انبهار البعض بما أوتى قارون ، وتمنيهم أن يكونوا مثله ، ثم رأوا ما حدث له ولكنوزه وأصحابه ، عندئذٍ يأتى الطباق ليتناغم مع حالة التعجب لهذه المفارقة العجيبة ،

فبسط الرزق يذكر بحال قارون الأولى ، وقدر الرزق يذكر بمآل قارون وخسرانه الدنيا والآخرة ، وهو ما يحدو بالنفس إلى العزوف عن الدنيا كلما ارتكنت إليها .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّى أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِى ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾ [القصص/٨٥]

فى الآية طباق بين " الْهُدَى " وبين " ضَلالٍ "

رعاية المُحسِّن لمقتضى الحال :

السورة كما أبرزت فى صدرها صراع الحق والباطل ، وكذلك فى أثنائها ، أكدّت عليه فى عَجُزها ، وجاءت الآية لتبشر النبى ﷺ بردّه إلى مكة منتصراً على تيار الباطل ، وجاء الطباق يراعى هذا السياق ، ويحتضن هذا المعنى .

(ب) المقابلة

*** تعريفها**

قال المراغى : المقابلة

ومن الطباق نوع يخص باسم المقابلة ، وهى أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب .

ويكون مقابلة اثنين باثنين ، وثلاثة بثلاثة إلى ستة بستة . (١)

ويقول **السيوطى** فى مبحث الطباق :

ومنه نوع يسمى المقابلة ، وهى أن يُذكر لفظان فأكثر ، ثم أضدادها على الترتيب . (٢)

*** أقسام المقابلة :**

(١) قسّم بعض العلماء المقابلة ستة أنواع ، المقابلة إما لواحد بواحد إلى ستة بستة ، وسبق ذكره فى التعريفات ، وذكره السيوطى فى الإتقان وذكر أنه يصل إلى العشرة . (٣)

(٢) وقسمها بعضهم إلى ثلاثة أنواع : نظيرىّ ، ونقيضىّ ، وخلافىّ

مثال الأول (النظيرى) :

مقابلة السِّنَة بالنوم فى قوله تعالى : ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾ [البقرة / ٢٥٥]

فإنهما جميعاً من باب الرّقاد المقابَل باليقظة .

---

(١) انظر : المراغى – علوم البلاغة – ص (٣٢٢/١)

(٢) السيوطى : الإتقان – ص (٤٣٥) – وانظر : معترك الأقران (٢ / ٣١٥) .

(٣) السيوطى – نفسه – (٤٣٥-٤٣٦) – وانظر : معترك الأقران (١ /٣١٦) .

مثال الثانى (النقيضىّ) : مثل قوله تعالى : ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ [الكهف /١٨]، والرقاد يقابل اليقظة .

مثال الثالث (الخلافىّ) :مقابلة الشر بالرشد فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِى أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِى الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ [الجن /١٠] ، فإنهما خلافان لا نقيضان ، فإن نقيض الشر الخير ، والرشد الغىّ . (١)

* الفرق بين الطباق والمقابلة :

والفرق بين الطباق والمقابلة من وجهين :

أحدهما : أن الطباق لا يكون إلا من ضدين فقط ،والمقابلة لا تكون إلا بما زاد من الأربعة إلى العشرة

(الثانى) : أن الطباق لا يكون إلا بالأضداد ، والمقابلة بالأضداد وبغيرها (٢)

* نماذج تطبيقية للمقابلة من السورة

المقابلة بين قوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الأَرْضِ ﴾ [القصص/٥]

وقوله : ﴿ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الأَرْضِ ﴾ [القصص/ ٥-٦]

* نوع المقابلة : المقابلة من النوع النقيضىّ

* القيمة الإيحائية للمُحَسِّن :

بيان فضل الله ومّنه على المستضعفين ، وذلك بإبراز المفارقة بين الحالين . والله أعلم .

المقابلة بين قوله تعالى :﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِ ﴾ [القصص/١٠]

وقوله : ﴿ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص/١٠]

* نوع المقابلة : من النوع الخلافىّ ، لأن الفارغ ضده الملىء

* القيمة الإيحائية للمقابلة :

المقابلة تبرز وتبين فضل الله ومَنّه على المؤمن ، حيث أخذ بناصية أم موسى من الشتات إلى الثبات ، فالله يؤيد المؤمن فى حال شدته كما فى حال رخائه وأكثر ، وفيها بيان أن الثبات من الله وحده ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٧

---

(١) السيوطى– السابق – ص (٤٣٦)

(٢) نفسه – ص (٤٣٥)

المقابلة بين قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِى مِن شِـيعَتِهِ ﴾ [القصص / ١٥] وقوله ﴿ عَلَى الَّذِى مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ [القصص/١٥]

*** نوع المقابلة : من النقيضىّ**

* القيمة الإيحائية للمقابلة : أفادت المقابلة إبراز الجو النفسى الذى حلّ بموسى عليه السلام بسبب ابتلائه بالعدو الصائل ، والولىّ المظلوم ، ومردود ذلك عليه ، وكيف تكون ردة فعله إزاء ما يرى ويسمع ، وهذا كله يدل على ضيق المقام بموسى عليه السلام ، الأمر الذى ينبنى عليه – كما سبق – الاعتذار له .

المقابلة بين قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ [القصص/١٥] وبين قوله : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [القصص/١٦]

*** نوع المقابلة : من النقيضىّ**

* القيمة الإيحائية : أفادت المقابلة إبراز وبيان الفرقان بين سبيل الرحمن وإضلال الشيطان .

المقابلة بين قوله تعالى : ﴿ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى الأَرْضِ ﴾ [القصص/١٩] وبين قوله : ﴿ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص/١٩]

*** نوع المقابلة : من النقيضىّ**

* القيمة الإيحائية : أفادت المقابلة إثبات المفارقة الكبيرة بين سبيل المؤمنين ، الذين يتعدى صلاحهم إلى غيرهم ، وسبيل الجبارين ، الذين يتعدى بغيهم إلى غيرهم ، وفى ذلك نوع من التذكير والتحذير .

المقابلة بين قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ [القصص/٢٣] وبين قوله : ﴿ لا نَسْقِى حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء ﴾ [القصص /٢٣]

*** نوع المقابلة : من الخلافى**

* القيمة الإيحائية : أبرزت المقابلة مدى ضُعفة المرأتين فى مقابلة الرعاء ، وأفادت قلة مروءة الرعاء، حيث رضوا بالصدور أولاً ، فى حين المرأتان تذودان وتكفكفان خشيةً منهم. والله أعلم

المقابلة بين قوله تعالى : ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ [القصص/٣١] وبين قوله : ﴿ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴾ [القصص/٣١]

*** نوع المقابلة : من النقيضىّ**

* القيمة الإيحائية : بيان المفارقة بين حالتى الخوف والأمان ، وفيها بيان أن امتثال أمر الله تعالى ضمانةٌ وكفالةٌ للمؤمن فالأمن كل الأمن فى معية الله وكنفه .

المقابلة بين قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص/٤٧]

وبين قوله : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ﴾ [القصص/٤٨]

*** نوع المقابلة : المقابلة نقيضية**

* القيمة الإيحائية : أفادت المقابلة تصوير مشهدين متناقضين لنفس الأشخاص ، علماً بأن الأحداث والمؤثرات حولهم واحدة ، فقد تمنوا إرسال الرسل ، وأتتهم الرسل وكفروا بهم ، وفى ذلك أوضح دلالة على أنهم قومٌ بُهْت كما وصفهم عبد الله بن سلام ﷺ . والله أعلى وأعلم

المقابلة بين قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ﴾ [القصص/٦٠]

وبين قوله : ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [القصص/٦٠]

وكذلك

المقابلة بين قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ ﴾ [القصص/٦١]

وبين قوله : ﴿مَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ [القصص/٦١]

* نوع المقابلتين : من النوع النظيرىّ ، لأن كليهما حياة .

* القيمة الإيحائية : بضدها تعرف الأشياء ، والمقابلتان يبرزان الفرق بين المتعة الدائمة والزائلة ، وبين الحياة المطلقة ومطلق الحياة ، ولذلك جاءت الفاصلة فى الآية الأولى :

﴿أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ ومن لوازم ذلك التعقل والتدبر لهذه المعانى فيختار الأنفع لنفسه .

المقابلة بين قوله : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾(القصص/٧١) وبين قوله : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[القصص/٧٢]

* نوع المقابلة : نقيضيّة

* القيمة الإيحائية : إبراز نعم الله ومننه التى لا تُعدّ ولا تحصى ، وذلك بإبراز مقابلة بين آيتين متضادتين فى صفحة الكون ، وهو ما يستدعى ويبرز دوافع الشكر ، ولذلك جاءت الفاصلة فى الآية التالية ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [القصص/٧٣] .

المقابلة بين قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ [القصص/٧٩] ، وبين قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴾[القصص/ ٨٠]

* نوع المقابلة : المقابلة من النوع الخلافيّ ، وهذا واضح من اختلاف اجتهاداتهم

* القيمة الإيحائية :

المقابلة تظهر لنا المفارقة بين علو همة المؤمنين ، وتدنى همة أرباب الدنيا ، ولازم ذلك أن يتأفف العاقل من ضعف عقولهم ، وقلة اليقين فى موعود الله ﷻ ، وفى ذلك دلالة واضحة – أيضاً – على أن العلم الربانى يهدى صاحبه عند الفتن .

المقابلة بين قوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ ﴾ [القصص/٨٨] ، وقوله : ﴿ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ [القصص/٨٨]

* نوع المقابلة : نقيضيّة

* القيمة الإيحائية : المقابلة تبرز لنا المفارقة بين الزوال والدوام ، الأمر الذى يدفع العاقل إلى التعلق بالأصلح له والأنفع ، ولا سبيل له إلا بوجه الله ، ولذلك قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ ولازم ذلك ، مداومة التعلق به عمن سواه، وتلكم عين الفائدة من المقابلة .

(ج) التناسب ، التشابه ، الائتلاف ، المؤاخاة ، مراعاة النظير

*** تعريفه :**

(١) قال ابن النقيب :

التناسب ويسمى التشابه أيضاً ، وهو ترتيب المعانى المتآخية التى تتلاءم ولا تتنافر ، والقرآن العظيم كله متناسب لا تنافر فيه ولا تباين ..... وقيل التشابه : أن تكون الألفاظ غير متباينة ، ولكن متقاربة فى الجزالة والمتانة ، والدقة ، والسلاسة ، وتكون المعانى مناسبة لألفاظها من غير أن يكسى اللفظ الشريف المعنى السخيف أو على الضد ، بل يصاغان معاً صياغة تتناسب وتتلاءم . (١)

وممن وافق ابن النقيب فى هذه التسمية الزنجاني فى المعيار ، فقال : "التناسب ويسمى التشابه أيضاً " (٢) ، وعقد ابن الأثير باباً سماه " التناسب بين المعانى " ، وهو النوع (الرابع والعشرون) من مقالته الثانية في الصناعة المعنوية (٣) ، وسمّى ابن أبى الإصبع هذا الفن (المناسبة) ،

---

(١) ابن النقيب – مقدمة التفسير – ص (١٧٧/١٧٨)

(٢) الزنجانى – معيارالنظار – ص (٨٦)

(٣) ابن الأثير – المثل السائر . (٢/٢٦٤)

وقسمها إلى لفظية ومعنوية [1] [2] ، وممن رأى أن التناسب هو المؤاخاة الدكتور **زكريا سعيد** ، **فقال مُعقباً على مبحث المؤاخاة عند ابن النقيب:**

لا أفهم معنًى لإفراد ابن النقيب " المؤاخاة " بقسم خاص ، وفصلها عن القسم الأول (التناسب أو التشابه)...ومادة هذا القسم الخامس مأخوذة عن ابن الأثير فى المثل السائر (٣/١٥٣- ١٥٩) حيث تحدث عن المؤاخاة فى ثنايا حديثة عن " المقابلة " ، ولم يفرد لها باباً مستقلاً واعتذر عن ذلك فى قوله " وكان ينبغى أن نعقد له باباً مفرداً ، لكنّا لمّا رأيناه ينظر إلى التقابل من وجه وصلناه به " ، ووجدت ذلك فى المثل السائر عند قوله : الضرب الثاني: في مقابلة الشيء مثله، وهو يتفرع إلى فرعين: أحدهما: مقابلة المفرد بالمفرد، والآخر مقابلة الجملة بالجملة. (٣)

(٢) تعريف السيوطى :

ذكر السيوطى أن هذا الفن يسمى أيضاً "مراعاة النظير ، والتوفيق ، والائتلاف ، والمؤاخاة "[4]

يقول السيوطى فى الإتقان معرّفاً لهذه الفن ، ومقسماً له :

ائتلاف اللفظ مع اللفظ ، وائتلافه مع المعنى :

الأول : أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضاً ، بأن يقرن الغريب بمثله ، والمتداول بمثله ، رعاية لحسن الجوار والمناسبة .

والثانى : أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد ، فإن كان فخماً كانت ألفاظه فخمة ، أو جزلاً فجزلة ، أو غريباً فغريبة ، أو متداولاً فمتداولة ، أو متوسطاً بين الغرابة والاستعمال ، فكذلك ، ثم ضرب أمثلة عديدة للنوعين [5]

وقسّمها السيوطى أقساماً ثلاثة فى موضع آخر فقال : فالأول : أن يناسب اللفظ المعنى

الثانى : أن يناسب اللفظ اللفظ الثالث : أن يناسب المعنى المعنى [6]

(٣) تعريف المراغى : مراعاة النظير – التناسب – الائتلاف

---

(١) ابن أبى الأصبع – تحرير التحبير – (١ /٣٦٣) . وانظر : ابن أبى الأصبع – بديع القرآن – تحقيق : د. حفنى محمد شرف . دار نهضة مصر . د. ت . (١٤٥)

(٢) ذكر هذه المترادفات د. زكريا سعيد – حاشية مقدمة ابن النقيب – ص(١٧٧)

(٣) انظر : د . زكريا سعيد – مقدمة ابن النقيب – حاشية ص (١٩١) . وانظر : ابن الأثير – المثل السائر – (٢/٢٨١) .

(٤) مقدمة ابن النقيب – ص حاشية (٧٧)

(٥) السيوطى – الإتقان – ص (٤٢٣- ٤٢٤)

(٦) السيوطى – شرح عقود الجمان – (١٠٨-١٠٩)

هى أن يجمع فى الكلام بين أمرين ، أو أمور متناسبة ، لا بالتضاد ، وبالقيد الأخير يخرج الطباق ، ثم ذكر أقسامه ، وألحق به ما سبق أن ألحقه الهاشمى ، وكلا التعريفين يصب فى مصب واحد [1]

قال الهاشمى : ويلحق بمراعاة النظير ما بنى على المناسبة فى المعنى بين طرفى الكلام ، يعنى أن يختم الكلام بما يناسب أوله فى المعنى ، نحو قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنعام: ١٠٣) ، فإن " اللطيف" يناسب عدم إدراك الأبصار له ، و " الخبير " يناسب إدراكه سبحانه وتعالى للأبصار . [2]

* أمثلة تطبيقية للتناسب فى السورة

قوله تعالى : ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [القصص/٩]

نلاحظ فى الآية أنها جمعت بين متناسبين لا تضاد بينهما ، وقصدت منهما تأليف قلب فرعون تجاهه ،وجامع التناسب أن كلا الاقتراحين جمع كل سبل انتفاع فرعون به .

قال السعدى – رحمه الله – " أى : لا يخلو – إما أن يكون بمنزلة الخَدَم الذين يسعون فى نفعنا وخدمتنا أو نرقيه درجة أعلى من ذلك ، نجعله ولداً لنا ونكرمه ونجلُّه [3]

قوله تعالى : ﴿ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ [القصص/١٢]

نلاحظ بالآية أن التناسب فيها مردُّه إلى جمع أمرين متكاملين ، فالكفالة أو الإرضاع وحده لا يكفى ، إذ قد يعتريهما الإهمال ، والنصح وحده دون الكفالة والإرضاع لا يكفى ، لذا كان من التناسب الجمع بين المتكاملين .

قوله تعالى : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾[القصص/١٣]

فى الآية الكريمة تناسب بين أربعة أمور بينها تلازم ، وهذا مفتاح التناسب فيها فردّه عليها ينبنى عليه قرار عينها ، وإذا قُرَّتْ العيون زالت الأحزان وسوء الظنون ، وجماع هذه التناسبات يلزم منه علمها ويقينها بصدق وعد الله وأحقيته .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ [القصص/١٥]

التناسب فى الآية أتى بذكر ثلاث صفات من صفات الشيطان ، وهى صفات كاشفة لهذا الكائن الخبيث ، فأولها : أنه عدو ، وهذا مصداقٌ لقوله :﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر/٦]

---

(١) المراغى – علوم البلاغة – ص (٣٢٣/١- ٣٢٤)

(٢) الهاشمى – جواهر البلاغة – (٢٦٨) .

(٣) السعدى – تيسير الكريم الرحمن – (٦٢٧)

وقوله : ﴿ مُضِلٌّ ﴾ صفة كاشفة للعداوة ، وفيها دلالة على أنه عدو نشط فى عداوته ، وليس ثَمَّ خمول فى عداوته ، وهذا مصداقٌ ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما لما سئل : أينام الشيطان ؟ قال : لو نام لاسترحنا .

وقوله : ﴿ مُبِينٌ ﴾ ، وهى صفة كاشفة توضح أن عداوته وضلاله ظاهرين ، وهما أمر لا يخفى على أحد ، والدليل آثار فساده من لدن آدم عليه السلام وحتى يرث الله الأرض ومن عليها .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص/٢٦]

التناسب فى الآية لذكر وصفين ، فى اجتماعهما كمال الأعمال ، والخلل لا يأتى إلا بفقدهما ، أو فقد أحدهما ، وهذان الوصفان يجب اعتبارهما فى كل من يتولى للإنسان عملاً أو إجارة أو غيرهما . (١)

قوله تعالى : ﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ ﴾ [القصص/٢٩]

التناسب فى الآية يكمن فى ذكر منفعتين لا ثالث لهما ، فالمسافر بالليل الذى ضل الطريق إما أن يجد أحداً على النار فيخبره بطريقه ، وإما ألا يجد فيأخذ جذوة منها ليصطلى بها حتى إسفار الصبح وانكشاف الطريق .

قوله تعالى : ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص/٤٢]

التناسب فى الآية يكمن فى ذكر نوعىّ العذاب اللاحقين بهم فى الدنيا والآخرة ، ومن التناسب أيضاً أن كلا العذابين يشوبه الخزى والذل لمن يلحق به.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص/٤٣]

فى الآية الكريمة تناسب مفادُه ذكر ثلاث صفات من صفات التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام وهى صفة لكل كتب الله – تعالى – عامة ، وصفات كتاب موسى :

الأولى : أنه بصائر للناس ، أى فيه أمور يبصرون بها ما ينفعهم وما يضرهم ، فتقوم الحجة على العاصى ، وينتفع بها المؤمن ، وعندئذ يكون هدًى لمن يهتدى به وهى الصفة الثانية .

والثالثة : أن من حصلت له الهداية ، حصلت له الرحمة والفوز لزاماً ، وهذا هو التناسب بعينه ، ولذلك ختمت الفاصلة بقوله تعالى ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ .

---

(١) انظر : السعدى– السابق– ص(٦٢٩)

قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [القصص/٥٩]

فى الآية الكريمة تناسب يكمن فى إبراز عظم رحمة الله – جل وعلا – بالعباد ، وأنه لا يوقع العذاب بالناس إلا بعد الاستحقاق وإقامة الحجة عليهم ، وذلك بطريقين لا ثالث لهما ، الأول : إرسال الرسل بالهدى ودين الحق ، والثانى : تكذيب الناس لهذا الخير ، وهذان الأمران متناسبان ، لأنهما شرطا استحقاق ووقوع العذاب بالمكذبين .

قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ [القصص/٦٤]

فى الآية الكريمة تصوير لثلاثة مواقف مختلفة ، الأول : عدم الاستجابة لدعائهم ، والثانى : رؤية العذاب المنتظر لهم والذى سيحل بهم عياناً ، والثالث : تمنوا الهداية فى مقام صح أن يقال فيه : لات حين مَندم . والجامع لهذه المواقف المختلفة الترقى فى الحسرة والخسران من الأدون إلى الأعلى ، وهو عين التناسب والائتلاف فى هذا الموقف .

قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾القصص [٦٧]

فى الآية الكريمة ذكر ثلاثة محاور رئيسة متناسبة ، هذه المحاور مجتمعة مظنةّ سبيل الفلاح والنجاة ، يوضح ذلك الإمام السعدى فيقول : لما ذكر تعالى سؤال الخلق عن معبودهم وعن رسلهم ، ذكر الطريق الذى ينجو به العبد من عقاب الله تعالى ، وأنه لا نجاة إلا لمن اتصف بالتوبة من الشرك والمعاصى ، وآمن بالله فعبده ، وآمن برسله فصدقهم ، وعمل صالحاً ، متبعاً فيه للرسل ﴿ فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ ﴾ من جمع هذه الخصال ﴿مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾الناجحين . (١)

قوله تعالى :﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص /٧٦-٧٧]

فى الآيتين الكريمتين نجد حزمة من النصائح تأتلف وتتناسب مع شخصية قارون ، ذلكم الطاغية الذى جمع المال وجمع معه البغى والبطر ، فكان من الحكمة والتناسب عند عظة هذا الطاغية أن تجمع له مع الترهيب ترغيباً ، وأن تسعفه وتبادره إن ساء ظنه بالاحتراز ، وهذا ما نجده فى هذه الحزمة المتناسبة من النصائح ، فلما رُهِّب وحُذِّر من الفرح والبطر ، ذُكِّر بوعد الله له فى الآخرة ، وهو الترغيب ولمَّا أُمر بالإحسان ، أُلمِح له بإحسان الله إليه ، وفى ذلك ترغيبٌ له ، ولما خُشِى

---

(١) السعدى –السابق – (٦٣٧)

منه الكفران وعدم الاعتراف بهذا الفضل ، لانتكاس فطرته ، بادروه بالترهيب فى قولهم : ﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾.

ولّما نصحوه بأن يستغل ما تحت يديه من نعم فى التوصل بها للآخرة ، خُشِى منه سوء الظن بهم ، فسجلوا لهم احترازهم بقولهم : ﴿ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ ، وهذا لعمر الله قمة التوازن فى النصح ، سيما مع هذه الشخصيات الباغية ، وهذا عين التناسب بين الجمل النُصحية ، وفريدة التآلف والتناغم مع النفس التمردية ، وهذا عين رعاية مقتضى الأحوال .

إشكال : لكن قد يُشكِل علينا أن هذه التناسبات أتت على سبيل التضاد أو المقابلة ، والجواب : إن ذلك صحيح لو اعتبرنا معنى الترغيب والترهيب .

(د) المذهب الكلامى :

* **تعريفه** : المذهب الكلامى هو أن يأتي البليغ على صحة دعواه وإبطال دعوى خصمه بحجة عقلية قاطعة تصح نسبتها إلى علم الكلام . (١)

أمثلة : ولم يستشهد على هذا النوع بأعظم من شواهد القرآن، فمن لطيف ذلك قوله عز وعلا} :لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} ، إذ تمام الدليل: لكنهما لم تفسدا فليس فيهما آلهة غير الله ، وقوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: {فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ} ؛ لأن تحليل القياس: القمر آفل وربي ليس بآفل فالقمر ليس بربي.

وقوله عليه السلام: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا"، إذ تمام الدليل: لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا فلم تعلموا ما أعلم.

وُيرْوَى أن أبا دلف العجلي قصده شاعر تميمي، فقال له: ممن أنت؟ فقال: من تميم، فقال أبو دلف:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ...ولو سلكت سبل الهداية ضلت

فقال له التميمي: بتلك الهداية جئت إليك، فأفحمه . (٢)

وعلى النقيض من المراغى ، نجد **ابن المعتز** ينكر وجوده بالجملة فى كتاب الله ، فيقول :

وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ **المذهب الكلامي** ، وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئاً، وهو ينسب إلى التكلف ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. (٣)

*** نماذج تطبيقية للمذهب الكلامى من السورة :**

---

(١) المراغى – علوم البلاغة (١ / ٣٣٩)

(٢) المراغى – نفسه (١ / ٣٣٩)

(٣) ابن المعتز – البديع (١ / ١٤٧)

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص/٥٧] فى الآية الكريمة نلاحظ أن المشركين أرادوا أن يعجزوا النبى ﷺ بحججهم الواهية ، ولوازمهم الباطلة ، التى تدل على سوء الظن بالله ﷻ ، وأنه لا ينصر دينه ، ولا يعلى كلمته ، فادّعوا عليه ﷺ أنه عادى الناس من حوله ، ولو اتبعوه لتخطفهم الناس بالأسر أو بالقتل أو غير ذلك فبين الله ﷻ بطلان ذلك بحجج لا يستطيعون منها فكاكاً ، ذلك أنه أمّنهم فى الحرم ، وقت أن خاف الناس ، ورزقهم من كل الثمرات وقت أن أجدب غيرهم وقحطوا ، فحرمهم احترمه القاصى والدانى ، فلا يُهاج أهله وذلك كله حال شركهم ، فبالقياس الأولوىّ ، لا ينتقض هذا بالإسلام ، بل يتضاعف ويتنامى.

(هـ): الجمع :

تعريفه : هو أن يجمع بين شيئين مختلفين، أو أكثر، **في حكم واحد** ، كقوله تعالى:﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ﴾ الكهف: ٤٦ .

وقول أبي العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدة ... مفسدة للمرء أي مفسدة

وقول ابن الرومي:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ...في الحادثات إذا دجون نجوم . (١)

أوفى أكثر ، نحو قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ ﴾[المائدة /٩٠] . (٢)

* نماذج تطبيقية للجمع فى السورة :

قوله تعالى : { وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ } [القصص/٦]

وقوله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ [القصص/٨]

فى الآيتين نلاحظ أن الله ﷻ جمع بين فرعون ووزيره هامان وجنوده فى حكمين

الأول : جمعهم فى حصول الحسرة بوقوع ما يحذرونه

الثانى : جمعهم فى الخطأ

---

(١) المراغى – علوم البلاغة (١ /٣٣١) بتصرف – وانظر : معترك الأقران (١ / ٣٠٦) .

(٢) الهاشمى – جواهر البلاغة (٢٧٤)

وهذا وذاك فيه دلالة على أن من دعا إلى بر كان له مثل أجر فاعله ، ومن دعا إلى إثم كان عليه مثل وزر فاعله ، ولذلك يقول تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [المائدة/٢]

ويقول ﷺ : " من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً " (١) .

قوله تعالى : ﴿ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[القصص/١٣]

فى الآية جمع لأكثر آل فرعون أو لأكثر الناس فى عدم علمهم حسن تقدير الله للأمور ، وسر قضائه ، قال القرطبى فى تفسير الآية : يعنى أكثر آل فرعون لا يعلمون ، أى كانوا فى غفلة عن التقدير وسر القضاء ، وقيل : أى أكثر الناس لا يعلمون وعد الله فى كل ما وعد حق. (٢)

قوله تعالى : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾[القصص/٣٢]

فى الآية جمع بين فرعون وقومه فى الفسق ، وكأن ذلك تفسير لسبب خطأهم وهلاكهم جميعاً .

قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ [القصص/٣٥]

فى الآية دلالة على أن النصر حليف من كان مع رسل الله – عليهم السلام – سواء كانت المعية حقيقية مقتضاها مخالطتهم ، أو كانت معية حكمية ، وذلك لمن كان على سنتهم وطريقتهم ، ولم يبدل ، ولكنه لم يدركهم أو يدرك عصرهم ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ [غافر /٥١] .

قوله تعالى :﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ [القصص/٣٩] ، فى الآية جمع بين فرعون وجنوده فى الاستكبار والتكذيب بالبعث ، وهذا تأكيد لفسقهم كما فى الآية السابقة (٣٢) .

قوله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ – وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ - وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص / ٤٠ – ٤١ – ٤٢]

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤) – وانظر : النووى – رياض الصالحين – باب فى الدلالة على خير – حديث رقم (١٧٩)

(٢) القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – (٢٠٨/١٣)

تأتى كنتائج لما سبق من استكبارهم وتكذيبهم وفسقهم ، وفيها جمع بين فرعون وجنوده فى الإغراق ، والظلم ، وكونهم أئمة ودعاة للنار ، وأنهم جميعٌ ملعنون فى الدنيا ومقبحون يوم القيامة .

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴾ [القصص/٤٨]

فى الآية زعم الكفار أن القرآن والتوراة سحران ، وفى القراءة الأخرى "ساحران" فالساحران موسى ومحمد- عليهما السلام- . (١) وما قالوا ذاك إلا بعد أن جاءهم الحق من عند الله لقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ﴾[القصص/٤٨] وفى ذلك دلالة على أنهم قوم بُهْت ، رأوا الحق وعاينوه ، ولكنهم رفضوه وجحدوه .

قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾[القصص/٧٨] ، فى الآية دليل على الجمع بين صنوف المجرمين على اختلاف مشارب إجرامهم ، أنهم يوم القيامة لا يسألون على ذنوبهم لفجاجتها وعظمها فلا يسألون سؤال استعتاب (٢)، وفى ذلك دليل على جمعهم على الخزى والذل يوم القيامة .

قوله تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾ [القصص/٨١]

فى الآية جمع بين قارون وداره بما حوت من أهل وخدم وكنوز ، وكل ما يتصور أن تحتوى ، ولذلك فالآية دليل على منتهى الخراب الذى حلّ بقارون .

(و) التفريق :

* تعريفه : (١) أن يفرّق بين أمرين من نوع واحد فى اختلاف حكمها نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾[فاطر /١٢] . (٣)

(٢) ويقول المراغى : التفريق : هو أن يعمد المتكلم إلى نوعين مندرجين تحت جنس واحد فيوقع بينهم تبايناً فى المدح أو الذم أو غيرهما . (٤)

(قلت) : وكلا التعريفين يصب فى مصب واحد ، ولم يذكر السيوطى التفريق فى الإتقان ، ومعترك الأقران ، بل اكتفى بذكره مع الجمع فى مبحث " الجمع والتفريق "

* نماذج تطبيقية للتفريق فى السورة :

قوله تعالى : { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص/٨٨]

---

(١) القرطبى – السابق – (٢٣٥/١٣)

(٢) القرطبى –السابق – (٢٥٣/١٣)

(٣) الهاشمى – جواهر البلاغة – (ص) (٢٧٤)

(٤) المراغى – علوم البلاغة – ص (٣٣١/١)

فى الآية الكريمة تفريقان :

الأول : فى قوله : ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ، حيث فرق سبحانه وتعالى بين إلوهيته الحقيقية وإلوهية غيره الباطلة ، لأن معنى كلمة التوحيد ، لا إله معبود بحق إلا الله [1] ، ولكن قد يُشكِل علينا أن جنس الألوهية ينفرد بها الله ﷻ وكل ما سواه فلا يسمى إلهاً .

والجواب :

أن ذلك باعتبار التسمية الباطلة فقط ، لا باعتبار الحقيقة ،ولذلك سماهم الله " آلهة " بهذا الاعتبار فى قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٢ .

وقوله : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون /٩١] و[الإسراء /٢٢]

والتفريق الثاني : بقاء الله ﷻ ، وهلاك وفناء ما سواه ، ولذلك جاءت الفاصلة بقوله : ﴿ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ، إشارة إلى انفراده بكمال ألوهيته ونفاذ حكمه ، وبقائه ، لأنه الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء .

(ز) التقسيم :

* **تعريفه** : هو أن يذكر متعدد ، ثم يضاف إلى كلٍّ من أفراده ماله على جهة التعيين ، نحو : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة /٤-٦] . [2]

وبقيد (التعيين) يخرج اللف ، فإنه لا تعيين فيه ، بل الأمر فيه موكول إلى السامع . [3]

وقد يطلق التقسيم على أمرين آخرين :

(أولهما) أن تستوفى أقسام الشيء ، نحو قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ طه: ٦

(وثانيهما) أن تُذكر أحوال الشيء ، مضافاً إلى كلٍّ منها ما يليق به ، كقوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ المائدة: ٥٤ (١)

---

(١) انظر : ابن عثيمين – القول المفيد – (١ / ٤٦)

(٢) الهاشمى – جواهر البلاغة – ص (٢٧٥)

(٣) المراغى – علوم البلاغة – ص (٣٣٢/١)

ويلاحظ أن السيوطى – رحمه الله– لما ذكر التقسيم فى الإتقان لم يذكر المعنى الأول (الأصلى) ، وإنما اكتفى بمعنًى واحد من المعانى الملحقة به فقال : التقسيم : هو استفاء أقسام الشىء الموجودة ، لا الممكنة عقلاً ، نحو : ﴿ هُوَ الَّذِى يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الرعد/١٢] ، إذ ليس فى رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق ، والطمع فى الأمطار ، ولا ثالث لهذين القسمين . (٢)

نماذج تطبيقية للتقسيم فى السورة :

النماذج التى استخرجتها للتقسيم من السورة ، جاءت كلها من النوع الذى ذكره السيوطى وهو استفاء أقسام الشىء الموجودة ، ولم أجد مثالاً للتقسيم من الذى يذكر فيه المتعدد ، ثم يضاف إلى كلٍّ من أفراده ماله على جهة التعيين غير المثال فى الآيات من (٣) إلى (٦) ، بيد أنه مثال قد يكون فيه نظر ، وهاكم البيان :

ذكر الله– عز وجل – المتعدد فى قوله:﴿ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ ﴾ [القصص/٣]

ثم ذكر ذُكر فرعون وما فعله تعييناً فى قوله:﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ الآية [القصص/٤]

ثم ذكر ما أراده من نصر المستضعفين فى قوله : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ الآيتين [القصص/٥-٦] ، وموضع النظر فى الأخير أنه– تعالى – لم يذكر ما فعله المستضعفون فى وزان ما فعله فرعون ، بل ذُكر ما أراده الله لهم من خير ، ولكن قد يقال : إن هذا مثل قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة /٤-٦] ، فَذُكر ما حلَّ بهم ، ولم يذكر فى التقسيم ما فعلوه ، ويبقى العلم بالصواب عند الله وحده ، فهو وحده أعلى وأعلم

قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾ [القصص/٧]

نلاحظ فى الآية أن التقسيم استوفى أقسام اضطراب النفس وجزعها فالخوف يكون مما يُخبَّأ فى المستقبل ، والحزن يكون على ما فات (٣) وليس ثَمَّ قسم ثالث ، وفى ذلك دلالة على أن الأمن والطمأنينة سيشملان حياتها كلها ، وليس ثَمَّ فزع .

---

(١) الهاشمى – السابق – ص (٢٧٥)

(٢) السيوطى – الإتقان – (٤٢٦)

(٣) انظر: القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – (١٣/٢٠٢-٢٠٣)

قوله تعالى : ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [القصص/٩]

فى الآية تقسيم يستوفى أقسام الانتفاع بموسى عليه السلام ، قال السعدى – رحمه الله – : أى : لا يخلو إما أن يكون بمنزلة الخدم الذين يسعون فى نفعنا وخدمتنا ، أو نرقيه درجة أعلى من ذلك نجعله ولداً لنا ونكرمه ونجلّه . (١)

(قلت) : وفى ذلك دلالة على شدة حرص امرأة فرعون على الانتفاع والاحتفاظ به ، والجزاء من جنس العمل ، فقدّر الله تعالى أنْ نفعها به لمّا قالت مقولتها ، فآمنت به ، ودخلت الجنة

قوله تعالى : ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص/٢٦]

فى الآية الكريمة استفاء لأقسام نجاح الإجارة أو العمل

يقول السعدى : " وهذان الوصفان ينبغى اعتبارهما فى كل من يتولى للإنسان عملاً بإجارة أو غيرها ، فإن الخلل لا يكون إلا بفقدهما أو فقد أحدهما ، وأما باجتماعهما فإن العمل يتم ويكمل . (٢)

قوله تعالى : ﴿ لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ [القصص/٢٩]

فى الآية استفاء لنوعى انتفاع موسى عليه السلام وأهله من النار فموسى عليه السلام ضلّ الطريق ، فأراد من يهديه الطريق ممن يكون عند النار ، وذلك مصداقاً لقوله : ﴿ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ [طه/١٠] ، وإن لم يجد أحداً انتفع بإنارتها ودفئها ، وليس ثَمَّ نفع آخر .

قوله تعالى : ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص/٤٢]

استوفت الآية نوعى العذاب فى الدنيا والآخرة وليس ثم ثالث وفى ذلك دليل على إحاطة الخزى بهم فى الدنيا والآخرة .

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا ﴾ [القصص/٥٧]

فى الآية الكريمة استفاء لركنىّ الحياة الكريمة التى ركناها :

الأول: الأمن، والثانى : الشِّبَع ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى : ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤ ﴾ قريش: ١ – ٤

---

(١) السعدى – تيسير الكريم الرحمن – (٦٢٧)

(٢) نفسه . (٦٢٩)

وفى ذلك دلالة واضحة على عظيم فضل الله على قريش وعلى جميع خلقه .

قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص/٦٩]

فى الآية الكريمة استفاء لقسمى العلم ، وأنه ليس ثَمَّ قسم ثالث وفى ذلك دلالة كبيرة على إحاطة وسعة علم الله – عز وجل– ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق / ١٢] ، وقوله : ﴿ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه / ٧] .

(ح) الجمع والتفريق :

* تعريفه : هو أن تدخل شيئين فى معنًى ، وتفرّق بين جهتى الإدخال ، وجعل منه الطيبىّ قوله : " اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا " (الزمر/٤٢) ، جمع النفسين فى حكم التوفى ، ثم فرق بين جهتى التوفى بالحكم بالإمساك والإرسال . (١)

* نماذج تطبيقية للجمع والتفريق من السورة :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ ﴾ [القصص/٤]

فقوله تعالى : ﴿ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ " جمع " ، حيث جعل أهلها مجموعات متشايعة فى خدمته ، على اختلاف منازعهم ومشاربهم .

وقوله : ﴿ يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ ﴾ " تفريق " حيث فرّق بين الطوائف المتشايعة فى خدمته فى الحكم بالاستضعاف وغير الاستضعاف ، وفى ذلك دليل واضح على شراسة فرعون وظلمه ، ذلك لأن الطائفة المستضعفة شاركت باقى الطوائف فى تشايعها لخدمته ، ومع ذلك لم يشفع ذلك لها ، والحقيقة أنه فعل بهم ما فعل لأنهم كانوا على التوحيد ، ولم يعبدوه.

(ط) الجمع والتقسيم :

* **تعريفه** : وهو جمع متعدد تحت حكم واحد ، ثم تقسيمه ، كقوله : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ ﴾ [فاطر/٣٢] . (٢)

(ى) اللف والنشر أو الطى والنشر :

* تعريفه : (١) هو ذكر متعدد مفصل أو مجمل، ثم ذكر ما لكل من آحاده بلا تعيين، اتكالا على أن السامع يرد إلى كل ما يليق به لوضوح الحال . (١)

---

(١) السيوطى – الإتقان – (٤٣٠) – ومعترك الأقران (١ / ٣٠٦) .

(٢) السيوطى – معترك الأقران (١ / ٣٠٦) .

(٢) ويقول السيوطى : اللف والنشر : هو أن يُذكر شيئان أو أشياء ، إما تفصيلاً بالنص على كل واحد ، أو إجمالاً بأن يؤتى بلفظ يشتمل على متعدد ثم يذكر أشياء على عدد ذلك ، كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم ، ويفوَّض إلى عقل السامع ردّ كل واحد إلى ما يليق به . [٢]

(قلت) : وبناء على تعريف السيوطى ، تزيد الأنواع عنده كما سيأتى .

*** أنواعه :**

قسّمه السيوطى – رحمه الله – إلى قسمين : الإجمالى والتفصيلى

(**الإجمالى**) عنده نوعان :

الأول : أن يكون اللف فيه مجملاً مثل قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾ [البقرة/١١١] ، أى : وقالت اليهود : لن يدخل الجنة إلا اليهود ، وقالت النصارى : لن يدخل الجنة إلا النصارى ، وإنما سوّغ الإجمال فى اللف ثبوت العناد بين اليهود والنصارى ، فلا يمكن أن يقول أحد الفريقين بدخول الفريق الآخر الجنة ، فوُثِق بالعقل فى أن يرد كلَّ قولٍ إلى فريقه لأمن اللبس

الثانى : أن يكون الإجمال فى النشر :

وذلك بأن يؤتى بمتعدد ، ثم بلفظ يشتمل على متعدد يصلح لهما ، كقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة/١٨٧] ، على قول أبى عبيدة : إن الخيط الأسود أريد به الفجر الكاذب لا الليل

(التفصيلى) ، نوعان :

الأول : أن يكون على ترتيب اللف ، كقوله تعالى : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [القصص/٧٣] ، فالسكون راجع إلى الليل ، والابتغاء راجع إلى النهار .

الثانى : أن يكون على عكس ترتيبه ، كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ [آل عمران/١٠٦] . [٣]

ونلاحظ أن من المحدثين كالهاشمى قد اكتفى بالتفصيلى فقط[٤]

ومنهم من ذكر التفصيلى والمجمل كالمراغى فى علوم البلاغة ، غير أنه ذكر فى المجمل نوعاً واحداً ، وهو النوع الأول : أن يكون الإجمال فى اللف. [١]

---

(١) المراغى – علوم البلاغة – (٢٧٣)

(٢) السيوطى – الإتقان – ص (٤٣٢) – ومعترك الأقران (١ / ٣١٠)

(٣) السيوطى – السابق – (٤٣٢-٤٣٣)

(٤) انظر: الهاشمى– جواهر البلاغة– ص (٢٧٣)

*** نماذج تطبيقية للف والنشر من السورة :**

قوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ ﴾ [القصص/١٥]

وهذا من النوع الإجمالى ، فقوله ﴿ رَجُلَيْنِ ﴾ لف على سبيل الإجمال

وقوله : ﴿ هَـٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ نشر ، كل جملة فيه ترجع إلى واحد من المتقدم فى لفظ ﴿ رَجُلَيْنِ ﴾

قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [القصص/٧٣]

الآية من النوع التفصيلى ، جاء على ترتيب اللف ، فالسكون راجع إلى الليل ، والابتغاء راجع إلى النهار [٢].

(ك) النزاهة :

*** تعريفه** : هى خلوص ألفاظ الهجاء من الفحش ، حتى يكون كما قال أبو عمرو بن العلاء ، وقد سئل عن أحسن الهجاء فقال : هو الذى إذا أنشدتْه العذراء فى خدرها لا يقبح عليها . [٣]

*** أمثلة :**

منه قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾ ثم قال : ﴿ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَـٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [النور/ ٤٨ : ٥٠] ، فإن ألفاظ ذم هؤلاء المخبر عنهم بهذا الخبر أتت منزهة عما يقبح فى الهجاء من الفحش وسائر هجاء القرآن كذلك . [٤]

*** نماذج تطبيقية للنزاهة من السورة :**

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ [القصص/٤] ، وبعد كل هذا الطامات والقوارع قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾[القصص/٤] ، فعلمنا من الفاصلة مدى فداحة الجرم مع نزاهة الهجاء .

---

(١) انظر : المراغى- علوم البلاغة- ص (١/٣٢٩ :٣٣١)

(٢) السيوطى- الإتقان- ص (٤٣٣) – ومعترك الأقران (١ / ٣١٨) .

(٣) نفسه – ص (٤٣٦)

(٤) نفسه – (٤٣٦)

قوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ [القصص/٨]

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴾ [القصص/١٥]

وقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۚ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [القصص/١٨]

وقوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص/٢١]

وقوله تعالى : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [القصص/٣٢]

وقوله تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص/٤٠]

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ [القصص/٤١-٤٢]

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " [القصص/٥٠]

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾[القصص/٥٥]

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ [القصص/٥٩]

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[القصص/٧٧]

وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص/٧٨]

وقوله تعالى : ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾[القصص/٨١]

وقوله تعالى :﴿ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [القصص/٨٢]

(ل) التورية أو الإيهام :

* تعريفها وأنواعها :

(١) يقول السيوطى : الإيهام ويدعى التورية :

أن يذكر لفظ له معنيان ، إما بالاشتراك أو التواطؤ ، أو الحقيقة ، أو المجاز ، أحدهما قريب ، والآخر بعيد ، ويقصد البعيد ، ويورّى عنه بالقريب فيتوهمه السمع من أول وهلة ، قال الزمخشرى : لا ترى باباً فى البيان أدق ، ولا ألطف من التورية ، ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المتشابهات فى كلام الله ورسوله ثم ذكر أمثلة . [١]

(قلت) : وإنما قال الزمخشرى ما قاله ، لأن هذا الباب يعينه على تقوية مذهبه فى الأسماء والصفات ، إذ إنه معتزلىّ لا يثبت صفات الله ﷻ

(٢) وسماه **ابن الأثير (المغالطات المعنوية)** وعرفها بقوله :

وهذا النوع من أحلى ما استعمل من الكلام وألطفه؛ لما فيه من التورية.

وحقيقته: أن يذكر معنى من المعاني له مثل في شيء آخر ونقيض، والنقيض أحسن موقعاً، وألطف مأخذاً.

فالأول الذي يكون له مثل يقع في الألفاظ المشتركة، فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي :

يشلّهم بكلّ أقبّ نهد ... لفارسه على الخيل الخيار

وكلّ أصمّ يعسل جانباه ... على الكعبين منه دم ممار

يغادر كلّ ملتفت إليه ... ولبّته لثعلبه وجـار

فالثعلب: هو هذا الحيوان المعروف، والوجار: اسم بيته، والثعلب أيضا هو طرف سنان الرمح؛ فلما اتفق الاسمان بين الثعلبين حسن ذكر الوجار في طرف السنان، وهذا نقل المعنى من مثل إلى مثله.

وعليه ورد قول المتنبي أيضا :

برغم شبيب فارق السّيفُ كفَّه ... وكانا على العلاّت يصطحبان

أنّ رقاب النّاس قالت لسيفه ... رفيقك قيسيّ وأنت يمـاني

فإن شبيباً الخارجي الذي خرج على كافور الإخشيدي، وقصد دمشق وحاصرها، وقتل على حصارها؛ كان من قيس، ولم تزل بين قيس واليمن عداوات وحروب، وأخبار ذلك مشهورة، والسيف يقال له «يماني» في نسبته إلى اليمن، ومراد المتنبي من هذا البيت أن شبيباً لما قتل وفارق السيف كفه فكأن الناس قالوا لسيفه: أنت يماني وصاحبك قيسي، ولهذا جانبه السيف وفارقه. وهذه مغالطة حسنة، وهي كالأولى إلا أنها أدق وأغمض. [٢]

---

(١) السيوطى – السابق – (٤١٧)

(٢) ابن الأثير – المثل السائر (٢ /٢٠٣ – ٢٠٤)

أقسامها عند السيوطى : قسمها إلى قسمين :

الأول : مجردة : لأنها لم يذكر فيها شىء من لوازم المورّى به ولا المورّى عنه

الثانى : مرشحة : وهى التى ذكر فيها شىء من لوازم هذا أو هذا . [1]

(٣) ويقول المراغى : التورية – الإيهام – التخيير

هى لغةً : مصدر (ورّى) بالخبر ، إذا ستره وأظهر غيره

واصطلاحاً : أن يذكر المتكلم لفظاً له معنيان أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة ، والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية ، ويريد المعنى البعيد ، ويورّى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع لأول وهلة أنه يريده ، وهو ليس بمراد ، ومن ثَمَّ سميت إيهاماً .

والفرق بين التورية وبين المجاز والكناية :

أنه لا يعتبر بين معنى التورية لزوم وانتقال من أحدهما إلى الآخر ، ولا علاقة بينهما كذلك بخلاف المجاز والكناية .

أنواعها :

وهى عنده ثلاثة أضرب :

(١) مجردة : وهى التى لم يذكر فيها لازم من لوازم المعنى القريب

(٢) مرشحة : وهى التى يذكر فيها لازم المورّى به ، وهو المعنى القريب وهى قسمان :

(أ) قسم يذكر فيه الترشيح قبلها ، كقوله تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ [الذاريات/٤٧] ، فاليد هنا القدرة وهى المعنى البعيد [2] ، وقد قرنت بالبناء الذى يناسب المعنى القريب

(ب) قسم يذكر بعدها . [3]

(**قلت**) : والملاحظ أنه خالف السيوطى فى قصر المرشحة أن تشتمل على لازم للمورّى به فقط

(٣) الهاشمى :

* تعريفها عند الهاشمى كالمراغى ، غير أنه اختلف عن سابقيه – السيوطى ، والمراغى – فى أقسامها .

* أقسامها عند الهاشمى :

تنقسم التورية إلى أربعة أقسام : مجردة ، ومرشحة ، ومبينة ، ومهيئة

---

(١) السيوطى – المصدر السابق – (٤١٧)

(٢) قلت : وهذا منه لأن مذهب الأشاعرة والماتريدية لا يثبت إلا سبع صفات لله –عز وجل– والباقى يأولها أو يحرفها كما قال ابن تيمية فى الواسطية

(٣) المراغى – علوم البلاغة – (٣٢٧/١-٣٢٨) باختصار

(أ) فالمجردة : هى التى تُقترن بما يلائم المعنيين ، لقول الخليل – عليه السلام – لما سأله الجبار عن زوجته ، فقال : هذه أختى ، أراد أخوة الدين .

(ب) والمرشحة : هى التى اقترنت بما يلائم المعنى القريب ، وسميت بذلك لتقويتها به ، لأن المعنى القريب غير مراد ، فكأنه ضعيف ، فإذا ذكر لازمه تقوّى به ، وهى قسمان باعتبار اللازم قبلها أو بعدها

(ج) المبيّنة : هى ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد ، سُمّيت بذلك لتبيين المورّى عنه بذكر لازمه ، إذ كان قبل ذلك خفياً ، فلما ذكر لازمه تبين ، وهى أيضاً قسمان باعتبار ذكر اللازم ، قبلُ أوبعدُ .

(د) المهيئة : هى التى لا تقطع التورية فيها إلا بلفظ قبلها أو بعدها ، فهى قسمان أيضاً :

فالأول : وهو ما تتهيأ بلفظ قبلُ ، نحو قوله :

وأظهرْتَ فينا من سماتك سُنَّةً	✸	فأظهرتَ ذاك الفرضَ من ذلك النَّدْبِ

، فالفرض والندب معناهما القريب : الحكمان الشرعيان ، ومعناهما البعيد : الفرض معناه العطاء ، والندب : معناه الرجل السريع فى قضاء الحوائج ، ولولا ذكر السُّنَّة لما تهيأت التورية ، ولا فهم الحكمان .

والثانى : وهو ما تتهيأ بلفظ بعيد ، كقول على ﷺ فى الأشعث بن قيس : " إنه كان يحرك الشمال باليمين " ، فالشمال : معناها القريب ضد اليمين ، والبعيد جمع شملة ، ولولا ذكر اليمين بعده لما فهم معنى اليد الذى به التورية . (١)

احتراز

جاء فى معنى " التورية " عند ابن النقيب :

وهو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ثم يردها بعينها ، ويعلقها بمعنى آخر ، وهو فى القرآن العظيم كثير من ذلك ، من ذلك قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام/١٢٤] الآية ، الجلالة الأولى مضاف إليها ، والثانية مبتدأ بها .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الروم /٦-٧] ومثل قوله تعالى : ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا ﴾ [التوبة /١٠٨]

---

(١) الهاشمى – جواهر البلاغة – ص (٢٦٤)

(قلت) : والصحيح أنه ليس توريةً ، بل " ترديد " ، وهو ما تداركه الدكتور زكريا سعيد فى تعليقه على الكتاب ، فقال : ما بين المعقوفين (الترديد) زيادة من عندى وهو الصواب – إن شاء الله – وقد أبقيت بجوارها العنوان المُحَرَّف (التورية) ، لأنه تبين لى أنه تحريف قديم. (١)

*** نماذج تطبيقية للتورية من السورة :**

قوله تعالى : ﴿ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ ﴾[القصص/١٢]

فى الآية قوله ﴿ أَهْلِ بَيْتٍ ﴾ قد يكون تورية ، لأن اللفظ يحتمل معنىً قريب ، وهو أهل بيت من البيوت ، وجاء لفظ " لَكُمْ " كالترشيح للمورّى به ، ولكن المعنى البعيد هو أهله ، أمه وأبوه وأخوته ، وهذا شبيه بقول الخليل – عليه السلام – عن سارة "هى أختى
ولعلّ ما يؤكده ، أنهم لما اطمأنوا إليها وسألوها من هى ؟ فقالت : أمى (٢) ، وهذا فيه دلالة على قوة عقلها وحصافتها .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا ﴾ [القصص/٤٨]

لفظ الحق فيه معنيان : القريب ، وهو ضد الباطل ، ومعنى بعيد وهو محمد ﷺ . (٣) ، ثم جاء لفظ ﴿ لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ " ﴾ [القصص/٤٨] بمثابة الترشيح للمعنى القريب – على حد اصطلاح السيوطى – ولعل فى ذلك دلالة واضحة على أن محمد – ﷺ – جاء بالحق ، وأن سبيل الحق ملازمٌ لمحمد – ﷺ – .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [القصص/٨٠]

لفظ الثواب له معنى قريب ، وهو الإثابة
ومعنى بعيد وهو " الجنة " (٤) ، وجاءت جملة ﴿ وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ كالترشيح للمعنى البعيد ، أو كالتبيين على حد تقسيم الهاشمى .

قوله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [القصص/٨٤]

فى الآية الكريمة توريتان ، فالحسنة والسيئة ، لهما معنيان قريبان وهو المعنى المضاد بينهما ، ومعنيان بعيدان ، فالحسنة بمعنى " لا إله إلا الله " والسيئة بمعنى الشرك . (١)

---

(١) ابن النقيب – مقدمة ابن النقيب – ص (٢٨٤) ، وهامش الصفحة أيضاً
(٢) القرطبى– الجامع لأحكام القرآن – (٢٠٧/١٣)
(٣) المصدر نفسه (٢٣٥/١٣)
(٤) المصدر نفسه (٢٥٤/١٣)

(م) الالتفات :

*** تعريفه :**

(١) يقول السيوطى : الالتفات : نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، أعنى من المتكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها ، بعد التعبير الأول هذا هو المشهور . ثم يذكر تعريفاً آخر وهو التعبير بأحدهما فيما حقه التعبير بغيره . [٢]

(٢) وأما ابن النقيب فيذكر ثلاثة تعريفات :

الأول : الانتقال من الغيبة إلى الحضور ، ومن الحضور إلى الغيبة

الثانى : ذهب قوم إلى أن الالتفات إذا انقطع الكلام يعقبه بجملة ملاقية إياه فى المعنى ليكون تتميماً له على جهة المثل والدعاء أو غيرهما ، كقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء/٨١]

الثالث : وذهب قوم إلى أن الالتفات هو أن تذكر معنى فتتوهم أن السامع اعترضه شك فى ذلك أو فى سببه أو علته فتذكر ما يزيل شكه .

إلى أن قال : والصحيح القول الأول ، وما ذكره بعده يجوز أن يكون من أنواع الالتفات . [٣]

*** فوائد الالتفات :**

(١) منها تطرية الكلام

(٢) صيانة السمع عن الضجر والمَلال ، لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات ، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد . [٤]

*** شرطا الالتفات :**

الأول : أن يكون الضمير فى المتنقَل إليه عائداً فى نفس الأمر إلى المتنقَل عنه ، وإلا يلزم عليه أن يكون فى " أنت صديقى " التفات

الثانى : أن يكون فى جملتين ، وإلا يلزم عليه أن يكون نوعاً غريباً . [٥]

*** أقسام الالتفات :**

ذكر ابن النقيب أقوال العلماء فى أقسامها فقال :

---

(١) نفسه . (٢٥٦/١٣)

(٢) السيوطى . الإتقان . (٤١٩)

(٣) ابن النقيب – مقدمة ابن النقيب – ص (٢٠٤-٢٠٥)

(٤) السيوطى – السابق – ص (٤١٩)

(٥) السيوطى – السابق – (٤٢١)

وأرباب هذا الشأن فيه على ثلاثة مذاهب ، ذهب قوم أنه على ثلاثة أقسام :

الأول : الانتقال من الغيبة إلى الحضور ، ومن الحضور إلى الغيبة .

مثال : قوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة [١ : ٥]

الثاني : الالتفات من الماضى إلى الأمر ، كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ ﴾ [الأعراف /٢٩]

الثالث : الالتفات من الماضى إلى المستقبل وبالعكس ، كقوله تعالى : ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج/٣١]

ثم نقل عن بعض العلماء أن الالتفات ينقسم إلى ثمانية أقسام

(الأول) : الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ، كقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة /١ : ٥]

(الثاني) : الرجوع من الخطاب إلى الغيبة ، كقوله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا ﴾ [يونس /٢٢]

(الثالث) : الرجوع من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ، كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ الآية [هود / ٥٣ : ٥٤] ، فإنه إنما قال : ﴿ أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا ﴾ ولم يقل : " وأشهدكم "

(الرابع) : الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع ، ومن خطاب الجمع إلى خطاب الواحد ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس / ٨٧] (الخامس) : الإخبار عن الفعل الماضى بالمضارع .

كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر /٩] فذكر ﴿ تُثِير ﴾ مضارعاً وما قبله وما بعده ماضٍ

(السادس) : الإخبار بالفعل المضارع عن الماضى ، وهو عكس ما تقدم ذكره كقوله تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [النحل /١]

(السابع) : الإخبار باسم المفعول عن الفعل المضارع ، وإنما فُعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضى ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾ [هود/١٠٣]

(الثامن) : عكس الظاهر ، وهو أن العرب قد توسعوا فى كلامهم وتجوزوا إلى غاية فيذكرون كلاماً يدل ظاهره على معنى وهم يريدون به معنى آخر عكسه وخلافه والأصل فى ذلك أنك تذكر كلاماً يعطى معناه أنه نفى لصفة شىء قد كان ، وهو نفى للموصوف أنه ما كان أصلاً ، مثال ذلك قول الشاعر :

ولا ترى الضَّبَّ بها ينجحِر . أى : ليس بها ضب فينجحِر. (١)

وزاد السيوطى نوعاً آخر : وهو أن يقدّم المتكلم فى كلامه مذكورين مرتين ، ثم يخبر عن الأول منهما ، وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثانى ، ثم يعود إلى الإخبار الأول ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۖ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴾ [العاديات/٦-٧] ، انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى الإخبار عن ربه تعالى ، ثم قال منصرفاً عن الإخبار عن ربه تعالى إلى الإخبار عن الإنسان : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات /٨] ، وهذا يحسن أن يسمّى التفات الضمائر . (٢)

وتوسع أيضاً بالدليل فى الانتقال بين الأزمنة ، فقال : ويقرب منه أيضاً الانتقال من الماضى أو المضارع أو الأمر إلى آخر (٣) ، ثم ذكر الأمثلة

*** نماذج تطبيقية للالتفات من السورة :**

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ [القصص/٤]

فى الآية الكريمة إخبار عن الفعل الماضى بالمضارع ، وهو نوع من الالتفات كما سبق

* فائدة الالتفات : المضارع يحكى لنا حالات الاستضعاف وتنوعاتها ، ويستحضر لنا الصورة حتى كأن السامع يسمعها ، ويشاهدها ، وليس كذلك الفعل الماضى .

---

(١) ابن النقيب – مقدمة ابن النقيب – ص (٢٠٢ : ٢١٣) باختصار

(٢) السيوطى – الإتقان – ص (٤٢١)

(٣) المصدر نفسه – ص (٤٢٢)

قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾ [القصص/٧] ، نلاحظ فى الآية الكريمة الإيحاء إلى أم موسى بصيغة الماضى ثم جاء الالتفات إلى الأمر فى (أرضعيه – ألقيه)

* وفائدة مجيء الماضى قبل الأمر ، فللدلالة على أنه أمرٌ مقضى ، وذلك كقوله لمريم : ﴿ **وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا** ﴾ وأما فائدة مجيء الأمرين فلحصول التوازن فى الامتثال بين المحبوب والمكروه ، فالإرضاع امتثاله هين لطواعية غريزة الأم له ، لكن الإشكال فى الامتثال للإلقاء فى اليم ، لذلك جاء بصيغة الأمر ، لتعلم أن الذى جعل لها الإرضاع اختياراً ولعينها قراراً ، جعل الإلقاء ابتلاءً واختباراً ، لتعلم أن الكل من عند الله ، وأنه جعل اليم له ملجأ ومناماً بعد فقدان أمه كما جعل النار لإبراهيم برداً وسلاماً ، وفى ذلك دلالة على ضرورة امتثال أمر الله ﷻ وإن كان الظاهر لا يشتهيه العبد .

(فإذا خفت) جاء هذا الفعل ، بعد الأمر بالإرضاع

* وفائدته : أن الالتفات إلى الماضى لأمر يتوقع حصوله فى المستقبل دليل قاطع على ضرورة حصوله ، وهو ما تؤكده " إذَا " التى تؤكد حصول الكائن

" لا تخافى – لا تحزنى " حدث التفات من الأمر إلى المضارع المسبوق بالنهى ، وكان بالإمكان أن يأتى الفعلان بالأمر كأن يقول : قرى عينا ، أو اطمئنى ، ولكن جاء الالتفات لفائدة

* فائدته : جاء الفعلان بصيغة المضارع مع النهى للدلالة على استمرار نزول الأمن والطمأنينة بها إذا امتثلت الأمر .

قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾ [القصص / ١٠]

فى الآية لكريمة التفات من الماضى إلى المضارع

* فائدته : أفاد المضارع فى حالة الإخبار عن أم موسى استحضار حالها واستحضار صورتها ، وفى ذلك استنطاق للنص ، لا يفيده الماضى الذى يثبت ويؤكد الحدث فقط .

قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص/١٤]

فى نهاية الآية الكريمة التفات من الماضى إلى المضارع

* فائدته : فيه دلالة على استمرار البذل والعطاء لأهل الإحسان .

قوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص/٢١]

فى الآية التفات من الماضى إلى المضارع إلى الأمر .

* فائدته : يقال فى الالتفات من الماضى إلى المضارع كما قيل فى السابق والالتفات من المضارع إلى الأمر ، لبيان حالة الضُّعفة والاحتياج إلى رب العالمين ﷻ .

قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ﴾ [القصص/٢٥]

فى الآية التفات من الماضى إلى المضارع

* فائدته : يقال فيه ما قيل فى السابق ، تصوير حالها ، واستحضار لهيئتها ، حتى كأننا نرى حياءها يتجدد المرة تلو الأخرى .

قوله تعالى : ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص/٢٥]

فى الآية التفات من المضارع إلى الماضى

* فائدته : وفى التعبير بالماضى عن المضارع الذى لم يوجد بعد تأكيد للفعل وجعله أعظم موقعاً فى نفس المتلقى ، وفى ذلك أتم رعاية لمقتضى حال موسى عليه السلام .

قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ [القصص/٢٧]

فى الآية الكريمة التفات من المضارع فى ثلاثة أفعال إلى الماضى فى ﴿ أَتْمَمْتَ ﴾

* فائدته : الالتفات إلى الماضى فى الآية أفاد تأكيد الفعل وفى ذلك دلالة على حسن ظن الرجل الصالح بنبى الله موسى عليه السلام وأن الفعل سيقع منه موقعاً عظيماً ، بل كأنه فى عداد ما أُنجز وأُكمل .

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [القصص/٣٠]

فى الآية الكريمة التفات من الغيبة إلى الحضور

* فائدته : لعل الانتقال من الغيبة إلى مخاطبة موسى عليه السلام باسمه يتناسب مع حالة الحضور ، والمناجاة من رب العالمين لكليمه عليه السلام وهو ما لا تؤديه حالة الغيبة مع هذا الحضور الربانى .

قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ [القصص/٣١] ، فى الآية الكريمة التفات من الخطاب إلى الغيبة ثم إلى الخطاب

* فائدته : نقول – والله أعلم – أنه ﷺ لما التفت إلى العصا وتحولها إلى الجان شغله ذلك عن استحضار المعية الإلهية التى مقتضاها النصر والتأييد ، لذلك انتابه الخوف الجبلى الذى لا يُلام عليه ، لكنه فى هذه الحالة ناسبه الإخبار عنه بالغيبة ، ولمّا أراد الملك – تبارك اسمه – أن يلفته

إلى معيته مرة أخرى خاطبه باسمه ، وناسب ذلك الإخبار بالخطاب والحضور الذى يناسب هذا الحال ويرعاه .

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [القصص/٥٥] ، فى الآية الكريمة التفات من الخطاب إلى الغيبة ، وذلك فى قوله " الْجَاهِلِينَ " ولو كان الجاهلون حاضرين ، لقالوا لا نبتغيكم

* فائدته : مع أن مخاطبة المؤمنين كانت لقوم جاهلين حقيقةً ، إلا أنهم عدلوا عند استخدام لفظ (الجهالة) عند الخطاب إلى الغيبة ، حتى لا يؤذوهم ، ويكون فى خطابهم تطريةً للقلوب واستمالة للنفوس إلى الحق ، وفى ذلك دلالة واضحة على حصافتهم ، ولين جانبهم .

قوله تعالى : ﴿ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [القصص/٧٥] فى الآية الكريمة التفات من الماضى إلى المضارع

* فائدته : لحكاية حالهم فى الماضى ، واستحضار صورة افترائهم ، ليعلم المتلقى أنها صفة لم تنفك عنهم ، ولذلك كانت سبباً رئيساً فى حصول ما آلوا إليه من المهالك .

قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ﴾ [القصص/٨٢] ، فى الآية الكريمة التفات من الماضى فى قوله :

﴿ وَأَصْبَحَ ﴾ و ﴿ تَمَنَّوْا ﴾ إلى ﴿ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ﴾

* فائدته : يقال فيه ما قيل فى السابق ، وفى دلالة واضحة على حسن اعتبارهم بقارون حتى إنهم لا يزالون يرددون فضل الله عليهم .

(المبحث الثانى)

نماذج تطبيقية للمحسنات اللفظية

*** بين يدى المبحث :**

بادئ ذى بدء ، أريد التنبيه إلى أنه عند دراسة المحسنات اللفظية ، ينبغى ألا تنفك عن رعاية مقتضى الحال وخدمته ، وإلا ستنفك جهة المطابقة للحال عن القيام بوظيفتها ، والأمر وقتها لا يعدو أن يكون ألفاظا زركشت وزخرفت ، لكنها خَواء من المعنى والمضمون ، كمثل الورود الاصطناعية ، ذات ألوان زاهية بيد أن عبيرها وشذا عرفها مقطوع ممنوع ، أو كمثل العقد الفريد نظم بأغلى اللآلئ وخالص العقيان ، بيد أنه عُطِّل عن زينة الغِيد المليحات ، فهو والتبر فى بطن الأرض سواء ، وكذلك المعانى إذا لم تكتسِ بما يروق لها من الألفاظ ، فتكون الألفاظ لها خدماً ، لأن الألفاظ لا تراد لنفسها ، وإنما هى دليل على المعنى ، فالأمر عندئذٍ مجرد عرض وافتنان بالزينة وفقط ، وهذا بعينة سبيل الكلفة والصنعة ، ولا كذلك الطبع السليم ، ألا ترى أنك إذا وضعت المحسِّن اللفظى فى غير موضعه من المعنى المناسب ، والمقام المعتبر ، فالأمر حينئذٍ أشبه بعقد فريد وُضِع على جِيد امرأة زنجية ، وما أضيعَ الحلىّ على زنجية ، ولعل هذا المثال يكون أَدْخَلَ فى إمحاض النصح لمن ابتلى بهذا الداء ، والعلماء القدامى فطنوا إلى مثل هذه الأدواء ، وطفقوا يشخصون لنا العلاج فى ثنايا مؤلفاتهم . وقد اقتطفت قطوفاً من كلام بعض العلماء حول هذه القضية ، مكتفياً بكلامهم عن الجناس والسجع ، وهو كلام أرى أنه ينسحب على المبحث كله .

يقول شيخ البلاغيين الجرجانى فى دلائل الإعجاز :

ثم إن العجب كل العجب ممن يجعل كل الفضيلة فى شىء هو إذا انفرد لم يجب به فضل ألبتة ، ولم يدخل فى اعتداد بحال وذلك أنه لا يخفى على عاقل أنه لا يكون بسهولة الألفاظ وسلامتها مما يثقل على اللسان اعتداد ، حتى يكون قد أُلِّفَ منها كلام ، ثم كان ذلك الكلام صحيحاً فى نظمه والغرض الذى أريد به ، وأنه لو عمد عامدٌ إلى ألفاظ فجمعها من غير أن يراعى فيها معنًى ويؤلف منها كلاماً ، لم ترَ عاقلاً يعتد السهولة فيها فضيلة ، لأن الألفاظ لا تراد لأنفسها ، وإنما تراد لتجعل أدلة على المعانى . إلى أن قال : ومن ها هنا رأيت العلماء يذمون من يحمله تطلب السجع والتجنيس على أن يضم لهما المعنى ، ويدخل الخلل عليه من أجلهما . [1]

---

(١) انظر : الجرجانى – دلائل الإعجاز – ص (٣٤٣)

ويقول – رحمه الله – فى **أسرار البلاغة :**

أما "التجنيس" فإنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً ، ولم يكن مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمى بعيداً ، أتراك استضعفت تجنيس أبى تمام فى قوله :

ذَهَبَتْ بِمُذهَبِه السَّماحةُ فالتوت	✹	فيه الظنون أَمَذْهبٌ أم مُذْهَبُ

واستحسنت تجنيس القائل : **حتى نجا من خوفه وما نجا .**

إلى أن قال : فقد تبين لك أن ما يُعْطِى " التجنيس " من الفضيلة أمرٌ لا يتم إلا بنصرة المعنى ، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسَنٌ ، ولما وُجِدَ فيه معيبٌ مستهَجنٌ ، ولذلك ذُمَّ الاستكثار منه والولوع به . (١)

ويقول – رحمه الله – : ولهذه الحالة كان كلامُ المتقدمين الذين تركوا فَضْل العناية بالسجع ، ولزموا سجيّة الطبع ، أمكنَ فى العقول ، وأبعدَ من القلق ، وأضحَ للمراد ، وأفضل عند ذوى التحصيل ، وأسلم من التفاوت ، وأكشف عن الأغراض وأنصر للجهة التى تنحو نحو العقل ، وأبعد عن التعمّل الذى هو ضربٌ من الخداع بالتزويق ، والرضى بأن تقع النقيصة فى نفس الصورة ، وإن الخِلقَةَ إذا أكثر فيها من الوشم والنقش ، وأُثْقِل صاحبُها بالحَلْى والوَشْى ، قياسُ الحَلْى على السيف الدَّدَان(٢) والتوسُّع فى الدعوى بغير برهان كما قال :

إذا لم تُشاهدْ غيرَ حُسْنِ شِياتها	✹	وأعضائها فالحُسْنُ عنك مُغَيَّبُ

وقد تجد فى كلام المتأخرين الآن كلاماً حَمَل صاحبَه فرطُ شغفه بأمور ترجع إلى ما له اسم فى البديع ، إلى أن ينسى أنه يتكلم ليُفهم ، ويقول ليُبيّن ، ويُخيَّل إليه أنه إذا جمع بين أقسام البديع فى بيت فلا ضير أنه يقع ما عناه فى عمياء ، وأن يُوقع السامع من طلبه فى خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وأفسده ، كمن ثَقَّل العروس بأصناف الحَلْى حتى ينالها من ذلك مكروه فى نفسها . (٣)

ويقول – رحمه الله – : " وعلى الجملة ، فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ، ولا سجعاً حسناً ، حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبتغى به بدلاً ، ولا تجد عنه حولاً . (٤)

---

(١) الجرجانى – أسرار البلاغة (٧ – ٨) – وانظر : الجرجانى – دلائل الإعجاز (٣٤٤)

(٢) (الدَّدان) : قال الشيخ أبو فهر : السيف الكليل الذى لا يَمضى فى الضريبة ولا يقطع ولا خير فيه ، وإنما يحلَّى ليبهر وهو كَهام ، إنما هو حديد لا سيف .

(٣) الجرجانى – أسرار البلاغة (٨ – ٩)

(٤) الجرجانى – نفسه (١١)

ويبيّن الجرجانى الصورة المقبولة التى ينبغى أن يكون عليها التجنيس والسجع ، فيقول : فقد تَبيّن من هذه الجملة أن المعنى المقتضِى اختصاصَ هذا النحو بالقبول ، هو أن المتكلم لم يَقُد المعنى نحو التجنيس والسجع ، بل قاده المعنى إليهما ، وعثر به عليهما ، حتى إنه لو رام تركَهُما إلى خلافهما مما لا تجنيسَ فيه ولا سجع ، لدخل من عقوق المعنى وإدخال الوحشة عليه ، فى شبيهٍ بما يُنْسَب إليه المتكلف للتجنيس المستكرَه ، والسجع النافر ، ولن تجد أيمن طائراً ، وأحسنَ أوّلاً وآخراً ، وأهدى إلى الإحسان ، وأجلب للاستحسان ، من أن ترسل المعانى على سجيتها ،وتدعها تطلب لأنفسها الألفاظ ، فإنها إذا تُرِكَتْ وما تريد لم تكتسِ إلا ما يليق بها ، ولم تَلْبَس من المَعَارض إلا ما يَزِينها . (١)

وقد ذكر ابن رشيق الجناس وشرع يذكر أمثلة فى جناس المماثلة ، ثم قال بعدها : " واستثقل قوم هذا التجنيس ، وحُقَّ لهم " . (٢)

وقال بعد أن ذكر نوع من التجانس أحدثه المولدون ، وهو التجانس المنفصل : " وأقرب شىء ممن تناوله ، من أبواب الفراغ وقلة الفائدة ، وهو مما لا شك فى تكلفه ، وقد أكثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون فى نثرهم ونظمهم حتى بردوا . (٣)

ويقول ابن حجة الحموى– رحمه الله – فى خزانة الأدب وغاية الإرب :

أما الجناس ، فإنه غير مذهبى ، ومذهب من نسجت على منواله من أهل الأدب ، كذلك كثرة اشتقاق الألفاظ ، فإن كلاًّ منهما يؤدى إلى العقادة والتقييد عن إطلاق عنان البلاغة فى مضمار المعانى المبتكرة . (٤)

وقال عن مواضع استحسانه :

والجناس من صور الألفاظ ، وممن وافق على ذلك علاّمة عصره الشهاب محمود ، وقال : إنما يحسن الجناس إذا قلّ ، وأتى فى الكلام عفواً من غير كدٍّ ، ولا استكراه ، ولا بُعْد ، ولا ميل إلى جانب الركة ، ولا يكون كقول الأعشى :

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعنى	✸	شاوٍ مشلٌّ شلول شلشل شول . (٥) (٦)

---

(١) الجرجانى – السابق– (١١٤)

(٢) ابن رشيق – العمدة – (٣٢٣/١)

(٣) ابن رشيق – نفسه– (٣٢٨/١)

(٤) ابن حجة الحموى – خزانة الأدب – تحقيق : عصام شقيو – دار ومكتبة الهلال – بيروت – ودار البحار البحار . بيروت – ٢٠٠٤م – ص (١ / ٥٤)

(٥) شاوٍ : الذى يشوى اللحم – (مشل – شلول – شلشل – شول) كلها ألفاظ ذات معنى واحد ، وهو الخفيف السريع فى عمله

(٦) ابن حجة الحموى – نفسه(١ / ٥٥)

وقال – رحمه الله – يبيّن معيبه ويُزهِّد فى الاستكثار منه :

ولم يحتج إليه بكثرة استعماله إلا من قصّرت همته عن اختراع المعانى التى هى كالنجوم الزاهرة فى أفق الألفاظ ، وإذا خلت بيوت الألفاظ من سكان المعانى تنزلت منزلة الأطلال البالية ، وما أحلى قول الفاضل هنا :

إنما الدار قبلُ بالسكان	✹	ثم بعد السكان بالجيران

(م)

فإذا الأرواح شردها الحتف فماذا يراد بالأبدان

وكان الشيخ صلاح الدين الصفدى يستسمن ورمه ، ويظنه شحماً فيشبع أفكاره منه ، ويملأ بطون الدفاتر ، ويأتى فيه بتركيب تخف عندها جلاميد الصخور ، كقوله – غفر الله له – :

ونَمْ فى أمانٍ بالحبيب ولا تخف	✹	لقائط واشٍ فى لقاء طواشى . [1]

وقوله :

وكم ساقٍ فى الظلماء والليل شاهدٌ	✹	رواحل واطٍ فى رواح لواط . [2]

إلى أن قال : ففى ذلك من الركة ما لا يخفى على أهل الذوق السليم ، ولولا الخشية من سأم الأسماع لأوردت له كثيراً من هذا النمط . [3]

يقول ابن الأثير – رحمه الله – مبيناً أن السجع المحمود هو الذى يراعى حرمة المعنى :

اعلم أن السجع قد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ، ولا أرى لذلك وجهاً سوى عجزهم عن الإتيان به وقصورهم عن سلوك مذهبه ، وإلا فلو كان مذموماً كما ذكر ، لِمَ ورد فى القرآن الكريم ؟

إلى أن قال : اعلم أولاً أن السجع لا يحمد على كل حال ، ولا فى كل موضع ، حتى يتوخاه المؤلف فى كلامه ، بحيث يذهب بفضيلة المعانى لأجله ، وهذا الذى يذم من السجع ويستقبح ، لما فيه من التكلف والتعسف ، وأما إذا كان محمولاً على الطبع غير متكلف ، فإنه يجىء فى غاية الحسن وهو أعلى الدرجات . [4]

---

(١) (لقائط) : ما يلتقطه الواشى من أقوال ويشى بصاحبها – (طواشى) : الخصى

(٢) (رواحل) : مفردها راحلة ، وهى الدابة – (واطٍ) : السوقة من الناس

(٣) ابن حجة الحموى – خزانة الأدب – ص (١/٥٥ – ٥٦)

(٤) ابن الأثير – الجامع الكبير – تحقيق : مصطفى جواد . المجمع العلمى . مصر . ١٣٧٥ هـ . (١ / ٥٣) مختصراً وسيأتى كلامه كاملاً .

والمتأمل فى المحسنات اللفظية سيجد فيها ما يحظى بكبير فائدة ، ولكن بشرط أن يتزاوج اللفظ والمعنى ، ويتوافقا على كِنٍّ أو عُشٍّ يلائم حالهما ، ذاك هو مقتضى الحال أو اعتبار مقامات الكلام ، التى ينبغى مراعاتها لضمان إقامة العلاقة الطبيعية بين اللفظ والمعنى .

ومن النَّصَفَة أن نقول : إن من بين هذه المحسنات ، ما لو توافرت شروط استحسانه ، لتولد منه ما يرعى ويخدم مقتضى الحال ، ومن ذلك – على سبيل الذكر – (السجع) ، يقول **ابن الأثير** – رحمه الله – : اعلم أن السجع قد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ، ولا أرى لذلك وجهاً سوى عجزهم عن الإتيان به وقصورهم عن سلوك مذهبه ، وإلا فلو كان مذموماً كما ذكر ، لِمَ ورد فى القرآن الكريم ، فإنه قد أتى منه شىء كثير إلى أن قال مبيناً أن السجع نوعان : محمود ومذموم :

اعلم أولاً أن السجع لا يحمد على كل حال ، ولا فى كل موضع حتى يتوخاه المؤلف فى كلامه ، بحيث يذهب بفضيلة المعانى لأجله ، وذلك أنه إذا صوّر فى نفسه معنى من المعانى ، ثم أراد أن يصوغه بلفظ مسجوع ، ولم يؤاته ذلك إلا بزيادة على ذلك المعنى ، أو نقصان منه ، ولا يكون محتاجاً إلى الزيادة ولا إلى النقصان ، وإنما يضطر إلى ذلك اضطراراً ، لأن المعنى الذى يكون قد قصده يحتاج إلى لفظ يدل عليه ، وإن دلّ عليه بذلك اللفظ لا يكون مسجوعاً إلا أن يضيف إليه شيئاً آخر وينقص ، لأجل الفقرة المطلوبة ، فإذا فعل ذلك لا حاجة إليه ، وهذا الذى يذم من السجع ويستقبح لما فيه من التكلف والتعسف ، وأما إذا كان محمولاً على الطبع غير متكلف فإنه فى غاية الحسن ، وهو أعلى درجات الكلام .(١)

وأما (الجناس) أو التجنيس ، فلا أجدنى أُلْفِى له كبير فائدة ، لأنه إما وقع تصنعاً أو تكلفاً ، فما أبعده عندئذٍ عن مضمار البلاغة وحلبة الفصاحة ، وإن وقع اتفاقا دون قصد ، فماذا عسانا أن نقول فيه ؟ !

ولنأخذ مثالاً من (جناس الإطلاق)

فسنجدهم يستدلون على وقوعه بقوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾[الشعراء/١٦٨]

وبقوله تعالى ﴿اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ﴾ [التوبة / ٣٨] ، ويعدلون عن البحث عن رعاية الألفاظ لمقتضى الحال ، وخدمة السياق .

** والباحث فى القرآن الكريم أو السنة المطهرة ، لا شك فى أنه يجد فيهما كثيراً من المحسنات اللفظية ، بيد أنه لا ينبغى له أن يقوم بدور الإحصائى الذى شغله الشاغل الجمع والعدّ ، لكن لا

---

(١) ابن الأثير – السابق – (٢٥٣/١)

بد له من الربط بين اللفظ والمعنى واعتبار السياق أو رعاية مقتضى أحوال الكلام ، إن استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وإلا فليس لدراسته كبير فائدة .

** ونظراً لأن الدراسات البديعية لا تكتمل إلا بذكر المحسنات اللفظية ، فقد ذكرت ما ترآى لى منها ، مع محاولة ربط الألفاظ بالمعانى والأحوال ، وإلا سكتُّ عن ذلك ، لأن العلل قد تُحْجَبُ عن المتأمل ، لأن العلل إما منصوصة لا تخفى على أحد ، وإما استنباطية : تكون ظاهرة لكن يُختلف فيها لاحتمالية مدلولاتها ، وإما تعبدية : لا يعلمها أحدٌ إلا الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم – .

تطبيقات

(أ) (الجناس) أو (التجنيس)

* **تعريفه : قال ابن المعتز:**

وهو أن تجيء الكلمة تُجانس أُخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها.

وقال الخليل: الجنسُ لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو، فمنه:

ما تكون الكلمة تُجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها وما يشتق منها، مثل قول الشاعر من الكامل : **يوم خلجت على الخليج نفوسهم**

أو يكون تَجانُسُها في تأليف الحروف دون المعنى مثل قول الشاعر "من البسيط:"

إن لوم العاشق اللُّوم

قال الله تعالى: **(وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** (النمل /٤٤) ، وقال سبحانه:

(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ) (الروم /٤٣) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"**عصية عصت الله، وغفار غفر الله لها.**" (١)

وقال السيوطى : الجناس هو تشابه اللفظين فى اللفظ . (٢)

* **فائدته** : الميل إلى الإصغاء إليه ، فإن مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً أو إصغاءً إليها ، ولأن اللفظ المشترك إذا حُمِل على معنى ثم جاء والمراد به معنى آخر كان للنفس تشوُّقٌ إليه. (٣)

* نماذج تطبيقية للجناس من السورة

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ ﴾ [القصص/٩]

---

(١) ابن المعتز – البديع (١ / ١٠٨) .

(٢) السيوطى – الإتقان – ص(٤٢٨)

(٣) السيوطى– نفسه – (٤٢٨)

فى الآية جناس ناقص (غير تام) بين " لِي " و " لَكَ " ، والجناس الناقص هو ما اختلف فيه اللفظان فى واحد أو أكثر من أربعة أشياء : نوع الحروف وعددها وهيئاتها الحاصلة من الحركات والسكنات وترتيبها ويجب ألا يكون بأكثر من حرف . (١)

قوله تعالى : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ [القصص/١٢] ، فى الآية جناس ناقص بين : " هَلْ " و " أَهْلِ " و " هُمْ " وجناس ناقص أيضاً بين : " لَكُمْ " و " أَدُلُّكُمْ "

قوله تعالى : ﴿فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ﴾ [القصص/١٦] ، فى الآية جناس ناقص بين " لِي " و" لَهُ "

قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ۖ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾[القصص/١٩]

نلاحظ أن بالآية الكريمة جناس ناقص بين (أَنْ) الناصبة ، (إِنْ) النافية وهذا الجناس هو (الجناس المحرّف) ، وهو أن يقع الاختلاف فى الحركات والسكنات . (٢)

قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ ﴾ [القصص / ٢٣]

فى الآية الكريمة جناس ناقص بين " ورد " و " وجد "

قوله تعالى : ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص/٢٤]

فى الآية (جناس ناقص) بين " لهما " و " لما "

قوله تعالى : ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[القصص/٢٥]

فى الآية الكريمة (جناس ناقص) بين " ما " و " لا "

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾[القصص/ ٢٧]

فى الآية الكريمة جناس محرّف بين " أَنْ " الناصبة و " إِنْ " الشرطية .

قوله تعالى : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [القصص / ٣٠]

فى الآية جناس ناقص بين " إِنِّي " و " أنا "

---

(١) المراغى- علوم البلاغة- (١ / ٣٥٤ : ٣٥٦)

(٢) انظر: المراغى – السابق – ص (١ / ٣٥٥) – وانظر : الإتقان ص (٤٢٨)

قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ [القصص / ٣٧]

فى الآية جناس مُحرّف بين (مَنْ) و " مِنْ "

قوله تعالى : ﴿ لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ ﴾ [القصص / ٣٨]

فى الآية جناس ناقص بين " إلى " و " إله "

قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ ﴾ [القصص /٤٣]

فى الآية الكريمة جناس ناقص بين (مِنْ) و (ما)

قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ [القصص /٤٥]

فى الآية الكريمة " **جناس متوّج** " بين " وَلَٰكِنَّا " و " كُنَّا " وهو أن يكون بزيادة أحدهما أكثر من حرف فى الأول ، وقد استدل السيوطى بهذا المثال على هذا النوع من الجناس . (١)

قوله تعالى : ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص/٧٠]

فى الآية الكريمة جناس ناقص بين " الْحَمْدُ " و " الْحُكْمُ "

قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [القصص/٨٠]

فى الآية الكريمة جناس بالقلب بين " الْعِلْمَ " و " عَمِلَ "

وجناس القلب يكون باختلاف الكلمتين فى ترتيب الحروف . (٢)

قوله تعالى : ﴿ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ﴾ [القصص/٨٢]

فى الآية الكريمة جناس ناقص بين " لِمَنْ " و " مِنْ " ، وقد يكون أيضاً جناس محرّف باعتبار تغير شكل الحروف . والله أعلى وأعلم

(ب) ائتلاف اللفظ مع اللفظ

* تعريفه :

هو كون ألفاظ العبارة من وادٍ واحد فى الغرابة والتأمل (٣) ، بأن يقرن الغريب بمثله والمتداول بمثله ، رعاية لحسن الجوار والمناسبة (٤) ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ

---

(١) السيوطى – الإتقان – (٤٢٨)

(٢) نفسه – (٤٢٩)

(٣) الهاشمى – جواهر البلاغة – (٢٩٧)

(٤) السيوطى – السابق – (٤٢٣)

تَكُونَ حَرَضًا ﴾ [يوسف/٨٥] أتى بأغرب ألفاظ القسم ، وهى " التاء " فإنها أقل استعمالاً ، وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو ، وبأغرب صيغ الأفعال التى ترفع الأسماء وتنصب الأخبار ، فإن " تزال " أقرب إلى الإفهام وأكثر استعمالاً منها ، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو "الحَرَض " ، فاقتضى حسن الوضع فى النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها فى الغرابة توخياً لحسن الجوار ورغبة فى ائتلاف المعانى بالألفاظ . (١)

*** نماذج تطبيقية لائتلاف اللفظ مع اللفظ من السورة :**

قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [القصص/١٦]

لما كان المقام مقام توبة وانكسار عبر موسى عليه السلام عن ذلك بقوله : " ظَلَمْتُ " و ناسب ذلك طلب المغفرة ،فدعا ربه فقال " فَاغْفِرْ لِي " ، ثم جاء الفعل " فَغَفَرَ لَهُ " بالفاء ليفيد قرب الله – عز وجل من دعاء الصالحين ، وفيه أيضاً دلالة على قرب موسى عليه السلام من ربه وعلو منزلته ، ثم أتت الفاصلة أيضاً بالإخبار عن صفتين جليلتين وهما المغفرة والرحمة ، فى قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ ، لتبشر من خلف الأنبياء بأن المغفرة والرحمة ليست للأولياء ، والمقربين وفقط ، بل لكل مذنب منكسر قلبه ، أراد التوبة والعودة إلى كنف ربه و مولاه . والله أعلم .

قوله تعالى : ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [القصص/١٩]

فى الآية الكريمة نلاحظ أن الائتلاف اللفظى جاء بين كلمتى " جَبَّارًا " و" الْمُصْلِحِينَ " ، فالجبار من الناس : القاهر العاتى المتسلط (٢) وقال الراغب : وسُمِّى السلطان جَبْراً ، كقول الشاعر :

وأَنْعِمْ صباحاً أيها الجبْرُ

لقهره للناس على ما يريده ، أو لإصلاح أمورهم ، والإجبار فى الأصل حمل الغير على أن يَجْبُرَ الآخر ، لكن تعورف فى الإكراه المجرد . (٣)

فلما كان الجبار يسلط على الناس فى الشر بالقهر ، ناسبه (المصلح) الذى يسلط عليهم فى الخير بالرفق والإحسان . والله أعلم.

قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ [القصص/٢٣]

---

(١) السيوطى – السابق (٤٢٣– ٤٢٤)

(٢) المعجم الوجيز – (جبر) – ص (٩١) وينظر : السيوطى – معترك الأقران (١٣٨/٢)

(٣) الراغب – المفردات فى غريب القرآن – (جبر) – ص (٩٣)

لما ذكر الله ﷻ حال المرأتين بأنهما تذودان غنمهما ، وهذا العمل من خصائص الرجال ، فضلاً عن كونه شاقاً ، وذلك على خلاف حال المرأة ، فالأصل أنها تقر فى البيوت ، وإن عملت فعملها خفيف فى البيت ، فلما رأى موسى عليه السلام ذلك منهما ، ناسب ذلك أن يسألهما بقوله : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ ، و(الخَطْبُ) : الأمر العظيم الذى يكثر فيه التخاطب ، قال تعالى :﴿ فَمَاخَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ ، وقوله : ﴿ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ [1]. ويجمع على خطوب . [2] فكان هذا من ائتلاف اللفظ مع اللفظ ..والله أعلى وأعلم

قوله تعالى : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [القصص/٦٠]

لما ذكر الله – عز ذكره – المتاع والزينة وأضافهما إلى الدنيا ، فعُلم من ذلك أنه ظلٌ زائل وعارية مسترجعة ، وعلم من الزينة عدم أصالتها ، فناسب ذلك تشويف وتشويق النفوس إلى الجنة ، فقال تعالى فى مقابل ذلك ﴿ وما عند الله خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ والله أعلم

قوله تعالى : ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ﴾ [القصص/٧٠]

لما قدم الله ﷻ الخبر على المبتدأ ، دلّ ذلك على اختصاصه بالحمد المطلق المستلزم صفات الكمال مع المحبة والتعظيم ، وقصر هذا المعنى عليه سبحانه وتعالى ، فناسب ذلك ذكر الأولى والآخرة لتتآلف الألفاظ مع المعنى الأول فى إفادة الإحاطة والشمول لهذا الحمد .

---

(١) الراغب – المفردات – (خطب)– ص (١٥٧)

(٢) المعجم الوجيز – (خطب)– ص (٢٠٢)

المبحث الثالث : الفاصلة

تنبيه : لم أذكر السجع فى المبحث السابق (المحسنات اللفظية) ، ذلك للاختلاف القائم بين العلماء على إثباته أو نفيه فى القرآن الكريم ، لا سيما وأن الجمهور على نفيه كما سيأتى ، وآثرت أن أعدل عنه إلى مبحث خاص (بالفاصلة) ، وما يتعلق بها من قضايا .

(أ) مسألة وجود السجع فى القرآن الكريم :

أولاً: المانعـون :

(١) الجمهور على المنع ، لأن أصله من سجع الطير ، فَشَرُف القرآن أن يستعار لشىء منه لفظ أصله مهمل ، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث فى وصفه بذلك ، ولأن القرآن من صفاته تعالى ، فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها . (١)

(٢) الرُّمانى فى إعجاز القرآن : يحكى قول الأشاعرة

فيقول : ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقال : فى القرآن سجع ، وفرّقوا بأن السجع هو الذى يقصد فى نفسه ، ثم يحال المعنى عليه ، والفواصل التى تتبع المعانى ولا تكون مقصودة فى نفسها ، ولذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيباً ، وهو قلب ما توجبه الحكمة فى الدلالة . (٢)

(٣) الباقلانى :

تبع الباقلانى الرمانى فى المنع من القول بالسجع فى القرآن الكريم فقال :

إنه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد فى كلامهم ، ومباين لأساليب خُطّابهم ، ومن ادَّعى ذلك لم يكن له بدٌّ من أن يصحح أنه ليس من قبيل الشعر ، ولا السجع ، ولا الكلام الموزون غير المقفى . (٣)

يقول الدكتور أحمد العمرى : وفى الحقيقة لم يكن نفى السجع عن القرآن من بنات أفكاره ، ولكنه ردّد ما ذكره الرمانى من أن فواصله تباين السجع مباينة تامة ، إذ الفواصل تتبع المعنى ، أما السجع فيتبعه المعنى ، ومن أجل ذلك يتضح فيه التكلف والثقل (١)

---

(١) السيوطى – الإتقان – ص (٤٣٨)

(٢) الرمانى – النكت فى إعجاز القرآن – (٩٧) . وينظر : السيوطى – الإتقان – ص (٤٣٨)

(٣) الباقلانى – إعجاز القرآن – تحقيق : السيد أحمد صقر – دار المعارف – مصر – ط٥ : ١٩٩٧م – (١ / ٧٢ –٧٣) .

(٤) السيوطى :

لم يُبْدِ السيوطى إثباتاً أو نفياً فى كتابه الإتقان ، ولكنه قال فى نظمه فى عقود الجمان :

(٩١٤) وفى القرآن قُلْ فواصلُ ولا * يقال أسجاعٌ فعنها قد علا . [٢]

غير أن هذا أيضاً قد لا يعبر عن رأيه، لأن هذا النظم لتلخيص المفتاح للقزوينى ، وبالتالى فهو أيضاً رأى القزوينى ، وهو أيضاً ما وضحه صاحب بغية الإيضاح [٣] ، وبذلك يكون هو **القول رقم (٥)** من أقوال المانعين .

(٦) : ابن حجة الحموى :

يقول – رحمه الله – : السجع مأخوذ من سجع الحمام ، واختلف فيه ، هل يقال فى فواصل القرآن أسجاع أو لا ؟

فمنهم من منعه ، ومنهم من أجازه ، والذى منع تمسك بقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ [فصلت /٣] ، فقال : قد سماه فواصل ، وليس لنا أن نتجاوز ذلك . [٤]

ثانياً : المثبتــون :

(١) كثير من غير الأشاعرة :

على حد عبارة **السيوطى** ، فإنه نقل عنهم إثباته إذ يقول :

وذهب كثير من غير الأشاعرة إلى إثبات السجع فى القرآن ، وزعموا أن ذلك مما يبين به فضلُ الكلام ، وأنه من الأجناس التى يقع بها التفاضل فى البيان والفصاحة ، كالجناس والالتفات ونحوهما ، وأقوى ما استدلوا به ، الاتفاق على أنه موسى أفضل من هارون ، ولمكان السجع قيل فى موضع : ﴿هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ [طه/٧٠] ، ولما كانت الفواصل فى موضع آخر بالواو والنون كله ، قيل : ﴿مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾ [الشعراء/٤٨] . [٥]

***الباقلانى ينقض ما استدلوا به**

---

(١) د. أحمد جمال العمرى – أبو بكر الباقلانى ومفهومه للإعجاز القرآنى – دار الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة – ط٩: ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م – (١٩/١)

(٢) السيوطى عقود الجمان – تحقيق : عبد الحميد ضحا – دار الإمام مسلم – القاهرة – ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢ م (١١٤/١)

(٣) عبد المتعال الصعيدى – بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح – مكتبة دار الآداب – مصر – ط ١٧ : ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م – (٦٥٧/٤)

(٤) ابن حجة الحموى – خزانة الأدب وغاية الإرب – (٢ / ٤١١)

(٥) السيوطى – الإتقان – (٤٣٨)

قال القاضى أبو بكر الباقلانى : " وهذا غير صحيح ، ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز ، ولو جاز أنه يقال : هو سجع معجز ، لجاز أن يقولوا : شعر معجز ، وكيف والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفى الشعر ، لأن الكهانة تنافى النبوات بخلاف الشعر ، وقد قال ﷺ : " أسجعٌ كسجع الكهان " فجعله مذموماً ، وما توهموا أنه سجع ، باطل ، لأن مجيئه على صورته لا يقتضى كونَه هو ، لأن السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع ، وليس كذلك ما اتفق مما هو فى معنى السجع من القرآن ، لأن اللفظ وقع فيه تابعاً للمعنى .

وللسجع منهج محفوظ وطريق مضبوط ، مَنْ أخلّ به وقع الخلل فى كلامه وأنت ترى فواصل القرآن متفاوتة ، بعضها متدانى المقاطع ، وبعضها يمتد حتى يتضاعف طوله عليه ، وترد الفاصلة فى ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير ، وهذا فى السجع غير مرضىّ ولا محمود .

قال : وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون فى موضع ، وتأخيره عنه فى موضع لمكان السجع وتساوى مقاطع الكلام ، فليس بصحيح ، بل الفائدة فيه إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدى معنًى واحداً ، وذلك من الأمر الصعب الذى تظهر فيه الفصاحة وتتبيّن فيه البلاغة .إلى أن قال :

فبان بذلك أن الحروف الواقعة فى الفواصل متناسبة موقع النظائر التى تقع فى الأسجاع ، لا تخرجها عن حدها ، ولا تدخلها فى باب السجع [1].

(قلت): ويمكننا القول فى الرد على الإيراد بتقديم هارون على موسى : إنه مما يتبع اللفظ فيه المعنى ، وليس مراعاة للفظ فقط كما يزعم البعض ، وهاكَ توضيحَ ذلك :

١) أن رب هارون و موسى هو رب موسى وهارون ، والمقصود فى كلا السياقين الإشارة إلى أن إيمانهم وسجودهم لله – عز وجل – .

– ومما يؤيد ذلك قوله ﷺ لعائشة : " إني لأعلم إذا كنت عني راضية ، وإذا كنت علي غضبى " ، قالت : فقلت : من أين تعرف ذلك ؟ فقال : " أما إذا كنت عني راضية ، فإنك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبى ، قلت : لا ورب إبراهيم ". قالت : قلت : أجل والله يا رسول الله ، ما أهجر إلا اسمك . [2]

---

(١) انظر : السيوطى – السابق – (٤٣٩) مختصراً . وانظر: الباقلانى – إعجاز القرآن– (٧٣:٧٢/١) وانظر: الباقلانى– الانتصار للقرآن– (٨٠٣/٢)

(٢) رواه البخارى (٥٢٢٨) – ومسلم (٢٤٣٩)

– وكذلك ما رُوِىَ عن ابن عمر – رضى الله عنهما – أنه مازح جارية له، فقال لها: خلقني خالق الكرام، وخلقك خالق اللئام! فلما رآها ابتأست من هذا القول، قال لها مبينًا: وهل خالق الكرام واللئام إلا الله عز وجل؟

٢) أن الآية فى سورة (طه) ﴿ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ ﴾ (طه: ٧٠) لو أتت على وفاق آية الشعراء ، لتساءل البعض وقالوا : ما دام المعنى واحداً ، والمقصود هو رب العالمين ، فلماذا تأتى الفاصلة مخالفةً لأخواتها ؟

والحاصل : أنه لا إشكال فى فاصلتى السورتين ، وأن الفاصلتين بالرغم من اتفاقهما مع ما قبلهما فى اللفظ ، فقد جاءتا تابعتين للمعنى ، وكانت كل منهما فى موضعها أليق وأنسب من الأخرى . – والله أعلم –

* الباقلانى يرجع عن قوله فى (الانتصار) كما حكى بهاء الدين السبكى

ذكر السيوطى فى الإتقان أن صاحب عروس الأفراح نقل عن الباقلانى أنه ذهب فى الانتصار إلى جواز تسمية الفواصل سجعاً . (١)

(قلت) : غير أنه يوجد فى الانتصار ما يؤيد كلامه الأول بتفرد القرآن بنظمه ، فيقول : " والقصص المتماثلة والمعنى الواحد بألفاظ مختلفة من بحر واحد وعلى وزن واحد هو وزن القرآن الخارج عن جميع النظوم والأوزن " . (٢)

(٢) ابن الأثير :

سبق أن ذكرنا قوله فى الجامع الكبير : " اعلم أن السجع قد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ، ولا أرى لذلك وجهاً سوى عجزهم عن الإتيان به وقصورهم عن سلوك مذهبه ، وإلا فلو كان مذموماً كما ذكر ، لِمَ ورد فى القرآن الكريم ؟! (٣)

(٣)ابن سنان الخفاجى :

يقول– رحمه الله – مستدركاً على الرمانى : فأما قول الرمانى إن السجع عيب والفواصل بلاغة على الإطلاق فغلط ، لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعاً للمعنى وكأنه غير مقصود ، فذلك بلاغة والفواصل مثله ، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعانى تابعة له ، وهو مقصود متكلف ، فذلك عيب ، والفواصل مثله ، وكما يعرض التكلف فى السجع عند طلب تماثل الحروف كذلك يعرض فى الفواصل عند طلب تقارب الحروف ، وأظن أن الذى دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما

---

(١) السيوطى – الإتقان – (٤٣٩)

(٢) الباقلانى– الانتصار– (٨٠٣/٢)

(٣) ابن الأثير– الجامع الكبير– (٢٥٣/١)

فى القرآن فواصل ، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبة فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض فى التسمية قريب ، فأما الحقيقة فما ذكرنا ، لأنه لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام فى كونه مسجوعاً وبين مشاركة جميعه فى كونه عرضاً وصوتاً وعربياً ومؤلفاً ، وهذا مما لا يخفى فيحتاج إلى زيادة فى البيان ، ولا فرق بين الفواصل التى تتماثل حروفها فى المقاطع وبين السجع . (١)

مماسبق نلاحظ :

(أولاً) : هذه العبارات التى وضعتُ أسفلها خطوطاً ، أسقطها السيوطى أثناء نقله عن الخفاجى ، ولكنه لم ينبه على أن هذه العبارات سقطت من كلامه ، ولعل ذلك منه لأن كلامها قد يفهم على سبيل الخطأ ، ويعتبر أن فيه سوء أدب مع كتاب الله – عز ذكره – فكأن السيوطى اعتبر ذلك والعدم سواء ، لأجل عدم التشويش على القارئ ، وللأمانة العلمية ، فإن للخفاجى كلاماً يدحض هذه الشبهة ، فيقول – رحمه الله – : وقال على بن عيسى الرمانى : إن الفواصل بلاغة والسجع عيب ، وعلّل ذلك بما ذكرنا من أن السجع تتبعه المعانى ، وهذا غير صحيح ، والذى يجب أن يحرر فى ذلك أن يقال : إن الأسجاع حروف متماثلة فى مقاطع الفصول على ما ذكرناه ، والفواصل على ضربين :

ضرب يكون سجعاً ، وهو ما تماثلت حروفه فى المقاطع .

وضرب لا يكون سجعاً ، وهو ما تقابلت حروفه فى المقاطع ولم تتماثل ، ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين أعنى المتماثل والمتقارب من أن يكون طوعاً لها ، وتابعاً للمعنى ، وبالضد من ذلك ، حتى يكون متكلفاً يتبعه المعنى ، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان ، وإن كان من الثانى ، فهو مذموم مرفوض ، فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود ، لعلوه فى الفصاحة ، وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة ، ثم ساق الأمثلة . (٢)

(ثانياً) : نلاحظ أن السيوطى – رحمه الله – عندما أسقط عبارات الكلام الثانى أشار إلى ذلك عندما قال : **(والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة من مقاطع الفواصل . قال – أى الخفاجى – ، "وهذا موضع الاختصار" : فإن قيل : إذا كان عندكم أن السجع محمود)** ، ولعل سبب إسقاط السيوطى لكلام الخفاجى أنه يخالف مذهبه الأشعرى فى مسألة كلام الله ﷻ ،

---

(١) انظر : ابن سنان الخفاجى – سر الفصاحة – دار الكتب العلمية – ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م – (١/١٧٣-١٧٤) – وانظر : السيوطى – الإتقان – ص (٤٣٩-٤٤٠)

(٢) ابن سنان الخفاجى – السابق – (١/١٧٢)

فالخفاجى أثبت أنه بصوت وحرف ، والسيوطى يرى أنه الكلام النفسى ، وقد أفاض الخفاجى فى هذه النقطة فى مبحث (فصل فى الكلام) فبدأ كلامه للمعتزلة بقوله :

فأما من ذهب إلى أن الكلام معنى فى النفس من المجبرة ، فإن الذى حملهم على هذا المذهب الواضح الفساد ظهور أدلة نظار المسلمين [١] على حدوث هذا الكلام المعقول وتقديم حروفه على بعض ، فلم يتمكنوا من الاعتراف بأنه من جنس الأصوات المقطعة ، مع القول بأن كلام الله – عز اسمه – قديم ، فادعوا لذلك أن الكلام غير هذا الصوت المسموع ، وأنه معنى قائم فى النفس . [٢]

وأيضاً فى إشارة الإمام السيوطى عند اختصاره للكلام بـ (قال) أو (إلى أن قال) ، تدل دلالة واضحة على عظم هذا العالم ، وعظم أمانته العلمية ، فنسأل الله لنا وله المغفرة .

مسألة : إذا كان السجع محموداً ،فلماذا لم يأتِ القرآن الكريم كله مسجوعاً ؟

(١) يقول ابن سنان الخفاجى :

إن القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى عرفهم وعادتهم ، وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعاً لما فيه من أمارات التكلف والاستقرار ، لا سيما مع طول الكلام . [٣]

(٢) ويقول ابن النفيس :

يكفى فى حسن السجع ورود القرآن به ، قال : ولا يقدح فى ذلك خلوّه فى بعض الآيات ، لأن الحَسَنَ قد يقتضى المقام الانتقال إلى أحسن منه

(٣) ويقول حازم :

من الناس من يكره تقطيع الكلام إلى مقادير متناسبة الأطراف ، غير متقاربة فى الطول والقصر ، لما فيه من التكلف إلا ما يقع الإلمام به فى النادر من الكلام ، ومنهم من يرى أن التناسب الواقع بإفراغ الكلام فى قالب التقفية وتحليتها بمناسبات المقاطع أكيد جداً ، ومنهم– وهو الوسط – ، من يرى أن السجع وإن كان زينة للكلام ، فقد يدعو إلى التكلف ، فرئى ألا يستعمل فى جملة الكلام ، وألا يخلى الكلام منه جملة ، وأنه يُقْبَلُ منه ما اجتلبه الخاطرعفواً بلا تكلف . [٤]

(ب) : تعريفات الفاصلة :

(١) الزركشى :

---

(١) يعنى: أصحابه من المعتزلة القائلين بأن القرآن مخلوق

(٢) الخفاجى – سر الفصاحة – (٤٠/١)

(٣) الخفاجى – نفسه – (١ / ١٧٤) – وانظر : السيوطى – الإتقان (٤٣٩ – ٤٤٠)

(٤) أورد هذه الأقوال السيوطى فى الإتقان – ص (٤٤٠) وذكرته مختصراً ، ولم أعثر على ما قاله ابن النفيس ، ولم أجد ما قاله حازم فى كتابه (منهاج البلغاء وسراج الأدباء) ولم يبيِّن السيوطى كتابيهما تحديداً

النوع الثالث : معرفة الفواصل ورءوس الآى :

وهى كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر ، وقرينة السجع

وقال الدانى : كلمة آخر الجملة

قال الجعبرى : وهو خلاف المصطلح ولا دليل له فى تمثيل سيبويه : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾ [هود /١٠٥] و ﴿ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ [الكهف /٦٤] ، وليسا رأسى آى ، لأن مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية

وقال القاضى أبو بكر : الفواصل حروف متشاكلة فى المقاطع يقع بها إفهام المعانى . (١)

(٢) السيوطى :

ذكر السيوطى – رحمه الله – فى الإتقان نفس ما ذكره الزركشى . (٢)

(ج) الفرق بين السجع والفاصلة :

يقول الخفاجى : وأما الفواصل التى فى القرآن ، فإنهم سموها فواصل ، ولم يسموها أسجاعاً ، وفرقوا فقالوا : إن السجع هو الذى يقصد فى نفسه ثم يحمل المعنى عليه ، والفواصل التى تتبع المعانى ، ولا تكون مقصودة فى أنفسها ، وقال على بن عيسى الرمانى : إن الفواصل بلاغة والسجع عيب ، وعلل ذلك بما ذكرناه. (٣)

(**قلت**) : وسبق أن ذكرنا أن السجع نوعان ، وأن السجع الذى قصده الخفاجى هو المذموم .

(د) عدم تسمية الفواصل بالسجع :

يقول الخفاجى : " وأظن الذى دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما فى القرآن فواصل ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً رغبة فى تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض فى التسمية قريب . (٤)

(**قلت**) : وكما سبق فالخفاجى يعلل فعل أصحابه ، أما هو فلا يرى ثَمَّ فرق كبير كما سبق من كلامه فى مسألة : إذا كان السجع محموداً فلماذا لم يأتِ القرآن الكريم كله مسجوعاً ؟ (٥) ويقول : فأمّا مناسبة فواصله ، فلقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ [فصلت / ٣]، وأما تجنب

---

(١) الزركشى– البرهان (١ / ٥٣)

(٢) انظر : السيوطى – الإتقان – ص (٤٣٧)

(٣) ابن سنان الخفاجى – سر الفصاحة – (١ / ١٧٢)

(٤) ابن سنان الخفاجى – نفسه – (١/١٧٤)

(٥) المصدر نفسه (١/ ١٧٤)

أسجاع ، فلأن أصله من سجع الطير ، فشرف القرآن أن يستعار لشيء فيه لفظ هو أصلٌ فى صوت الطائر. [1]

(هـ) الفرق بين الفواصل ورءوس الآى :

يقول الزركشى – رحمه الله – :

وفرّق الإمام أبو عمرو الدانى بين الفواصل ورءوس الآى ، قال : أما الفاصلة فهى الكلام المنفصل مما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية ، وغير رأسٍ ، وكذلك الفواصل يكنَّ رءوس آيٍ وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية ، فالفاصلة تعم النوعين ، وتجمع الضربين ، ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ، ذكر سيبويه فى تمثيل القوافى ﴿ يَوْمَ يَأْتِ ﴾ [هود /١٠٥] و ﴿ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ [الكهف /٦٤] ، وهما غير رأس آيتين بإجماعٍ ، مع ﴿ إِذَا يَسْرِ ﴾ [الفجر /٤] ، وهو رأس آية باتفاق . انتهى . [2]

(و) مظان وقوع الفاصلة : يقول الزركشى : وتقع الفاصلة عند الاستراحة فى الخطاب لتحسين الكلام بها ، وهى الطريقة التى يباين القرآن بها سائر الكلام ، وتسمى فواصل لأنه ينفصل عنده الكلامان ، وذلك أن آخر الآية قد فصل بينها وبين ما بعدها [3] ، وأخذاً من قوله : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ [فصلت / ٣] . [4]

(ز) طرق معرفة الفواصل :

نقل السيوطى عن الجعبرى قوله :

لمعرفة الفواصل طريقان : توقيفى وقياسى

أما التوقيفى : فما ثبت أنه ﷺ وقف عليه دائما تحققنا أنه فاصلة ، وما وصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة ، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى ، احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة ، أو لتعريف الوقف التام أو الاستراحة .

والوصل أن يكون غير فاصلة ، أو فاصلة وصل لتقدم تعريفها

وأما القياسى : فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص المناسب ، ولا محذور فى ذلك ، لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان ، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل . [5]

---

(١) الزركشى – السابق – (١ / ٥٤)

(٢) الزركشى – السابق – (١ / ٥٣ –٥٤)

(٣) نفسه – (١/ ٥٤)

(٤) السيوطى – الإتقان – ص (٤٣٨)

(٥) السيوطى – نفسه – ص (٤٣٧ – ٤٣٨)

(ح) فصل فى أقسام الفواصل :

قال السيوطى : قسم البديعيون السجع ، ومثله الفواصل إلى أقسام :

مُطَرّف ، ومتوازٍ ، ومرصّع ، ومتوازن ، ومتماثل

فالمُطَرَّف : أن تختلف الفاصلتان فى الوزن وتتفقا فى حروف السجع نحو : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا - وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ [نوح/ ١٣-١٤] .

والمتوازى : أن يتفقا وزناً وتقفيةً ، ولم يكن ما فى الأولى مقابلاً لما فى الثانية فى الوزن والتقفية ، نحو ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ - وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ [الغاشية / ١٣-١٤]

والمتوازن : أن يتفقا فى الوزن دون التقفية ، نحو ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ - وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾ [الغاشية / ١٥- ١٦]

والمرصع : أن يتفقا وزناً وتقفية ، ويكون ما فى الأولى مقابلاً لما فى الثانية كذلك ، نحو : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ- ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ [الغاشية /٢٥-٢٦]

وقوله : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ- وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الإنفطار/١٣-١٤]

والمتماثل : أن يتساويا فى الوزن دون التقفية ،وتكون أفراد الأولى مقابلة لما فى الثانية ، فهو بالنسبة إلى المرصع كالمتوازن بالنسبة إلى المتوازى نحو : ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ- وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الصافات/١١٧-١١٨] فالكتاب والصراط يتوازنان ، وكذلك المستبين والمستقيم واختلفا فى الحرف الأخير . (١)

وزاد بعدهما السيوطى نوعين آخرين متعلقين بالفواصل : أحدهما : التشريع والثانى : الالتزام ، ويسمى لزوم ما لا يلزم . (٢)

(قلت) : والذى أراه أن البحث فى فواصل السورة من هذه الحيثية ، لا يشكل كثير فائدة ، ذلك لأننا إذا أحصينا أنواع الفواصل بالسورة ، قد لا نستطيع إدراك علة مجىء هذا النوع يتلوه هذا النوع ..إلخ ، لكن المهم أن الفاصلة مهما كان نوعها ، أنها تأتى متمكنة فى مكانها مستقرة فى قرارها ، مطمئنة فى موضعها ، وهى دائماً راعية لمقتضى الحال ، ذلك لأنه كلام الله ﷻ الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

من أجل ذلك أعددت نموذجين تطبيقيين للفواصل بالسورة :

---

(١) السيوطى – الإتقان – ص(٤٤٨)

(٢) السيوطى – نفسه – (٤٤٨- ٤٤٩)

أحدهما : تَتَبُّع لنهاية فواصل السورة ، لإثبات أن السجعَ غيرُ مطلوب لذاته ، وتأكيدٌ على أن القرآن نزل بلغة العرب وعُرفهم وعادتهم فى وجود السجع تارة ، وانتفائه تارةً أخرى .

ثانيهما : نموذج تطبيقى يراعى الارتباط بين الفواصل ومعنى الآى قبلها ، وهو بناءً على ما حكاه السيوطى عن ابن أبى الإصبع أنه لا يخرج عن التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال

النموذج التطبيقى الأول :

وفيه تتبع لنهاية الفواصل فى السورة ، ونلاحظ ما يلى :

(أولاً) الآية (١) " طسم " ختمت بالميم وهو ما يتقارب فى المخرج مع الآية رقم (٢) بعدها " الْمُبِينِ "

(ثانياً) اتفاق الحرف الأخير فى الفواصل فى الآيات من رقم (٢) وحتى رقم (١٥) فى حرف النون

(ثالثا) : تأتى الآية رقم (١٦) ونهاية الفاصلة " الرَّحِيمُ " وهو مخرج متقارب لما قبله وما بعده ، وهو حرف النون

(رابعاً) : اتفاق فى الفواصل من (١٧) إلى (٢١) فى حرف النون

(خامساً) : الآية (٢٢) تنتهى بـ " السَّبِيلِ" وهو مخرج متقارب مع قبله ، وما بعده ، وهو حرف الراء

(سادساً) : اتفاق بين الآيتين (٢٣) و(٢٤) فى أواخر الفاصلتين فى حرف الراء (كبير) و(فقير)

(سابعاً) : الآيات من (٢٥) إلى (٢٧) تتفق فى حرف النون

(ثامناً) : الآية (٢٨) آخرها " وَكِيلٌ " واللام حرف متقارب المخرج مع ما قبله وما بعده ، وهو حرف النون

(تاسعاً) : الآيات من (٢٩) إلى (٧٨) تتفق فى حرف النون

(عاشراً) : الآية (٧٩) آخرها " عَظِيمٍ " ، وهو حرف متقارب المخرج مع ما قبله وما بعده ، وهو حرف النون

(حادى عشر) : الآيات من (٨٠) إلى (٨٨) تتفق فى حرف النون

مما سبق يتأكد لنا ما قاله ابن سنان الخفاجى – رحمه الله – :

إن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، وعلى عرفهم وعادتهم ، وكان الفصيح منهم لا يكون كلامه كله مسجوعاً ، لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه ، لا سيما مع طول الكلام . [1]

---

(١) انظر : ابن سنان الخفاجى – سر الفصاحة – (١/١٧٤)

ويقول ابن النقيب : " والتسجيع وعدمه أسلوبان جرت عليهما ألسنة فصحاء العرب وخطبائهم ، يأتون بذلك بغير تكلف ولا تعسف ، وورد فى القرآن العظيم آيات كثيرة خالية من السجع ، وآيات كثيرة مشحونة بالسجع ، حتى إن بعض السور شملها السجع من أولها إلى آخرها ، مثل : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ﴾ وسورة الضحى و الكوثر فاعرفه . [١]

*** النموذج التطبيقى الثانى :**

ونستأنس فى هذا النموذج بما قاله السيوطى فى الإتقان :

" قال ابن أبى الإصبع : لا تخرج فواصل القرآن عن أحد أربعة أشياء : التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال . [٢]

(قلت) : وقد بحثت فى كتاب تحرير التحبير لابن أبى الإصبع ، فلم أجد هذه الجملة بعينها ، غير أنى ألفيته يتكلم عن أنواع هذه الفواصل متفرقة بحسب الأبواب . [٣]

وقبل أن نذكر هذه النماذج ، نعرّج سريعاً على أقوال بعض العلماء عن هذه المصطلحات

التمكين : – ويسمى ائتلاف القافية – أن يمهِّد الناثر للقرينة ، أو الشاعر للقافية ، تمهيداً تأتى به القافية أو القرينة متمكنةً فى مكانها ، مستقرةً فى قرارها ، مطمئنةً فى موضعها ، غير نافرة ولا قلقة ، متعلقاً معناها بمعنى الكلام كله تعلّقاً تاماً ، بحيث لو طرحت لاختلّ المعنى واضطرب الفهم ، وبحيث لو سكت عنها كمله السامع بطبعه ، ومن أمثلة ذلك : ﴿ يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ ﴾ الآية [هود / ٨٧] ، فإنه لما تقدم فى الآية ذكر العبادة ، وتلاه ذكر التصرف فى الأموال ، اقتضى ذلك ذكر الحلم والرشد على الترتيب ، لأن الحلم يناسب العبادات ، والرشد يناسب الأموال . [٤]

التصدير : فهو أن تكون تلك اللفظة بعينها تقدمت فى أول الآية . [٥]

وهو عند ابن أبى الإصبع (**رد الأعجاز على الصدور**) [٦] ، وقسمه ابن المعتز ثلاثة أقسام :

---

(١) ابن النقيب – مقدمة ابن النقيب – ص (٤٧٤)

(٢) السيوطى – الإتقان – ص (٤٤٣)

(٣) انظر : ابن أبى الإصبع – تحرير التحبير – صفحات (١٢٧/١ ، ١٨٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٥٢٩ ، ٦١٣) – ابن أبى الإصبع – تحرير التحبير – تقديم وتحقيق : د. حفنى محمد شرف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامى – د. ت

(٤) السيوطى – الإتقان – (٤٤٣)

(٥) نفسه – (٤٤٧)

(٦) ابن أبى الإصبع – تحرير التحبير – (١ / ١١٦)

الأول : أن يوافق آخر الفاصلة آخر كلمة فى الصدر نحو : ﴿ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء /١٦٦]

والثانى : أن يوافق أول كلمة منه ، نحو : ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران /٨] . وقوله : ﴿ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴾ [الشعراء/١٦٨]

والثالث : أن يوافق بعض كلماته ، نحو : ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾ [الأنعام /١٠] . (١)

التوشيح :

وأما التوشيح فهو أن يكون فى أول الكلام ما يستلزم القافية ، والفرق بينه وبين التصدير ، أن هذا دلالته معنوية ، وذاك لفظية ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ ... ﴾ [آل عمران/٣٣] الآية ، فإن " اصْطَفَى" لا يدل على أن الفاصلة " الْعَالَمِينَ " لا باللفظ لأن لفظ " الْعَالَمِينَ " غير لفظ " اصْطَفَى " ولكن بالمعنى ؛ لأنه يعلم أن من لوازم اصطفاء شىء أن يكون مختاراً على جنسه ، وجنس هؤلاء المصطفين العالمون (٢).

وقال **قدامة بن جعفر** : هو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته ، ومعناها متعلقاً به ، حتى أن الذى يعرف قافية القصيدة التى البيت منها ، إذا سمع أول البيت عرف آخره ، وبانت له قافيته ، ثم ساق الأمثلة . (٣)

(**قلت**) : وهو فى ذلك يتكلم بكلام قريب جداً من التمكين ، ساق مثله السيوطى فى بابه . (٤)

الإيغال : يقول فيه قدامة : هو أن يأتى الشاعر بالمعنى فى البيت تاماً من غير أن يكون للقافية فيما ذكره صنع ، ثم يأتى بها لحاجة الشعر فى أن يكون شعراً ، فيزيد بمعناها فى تجويد ما ذكره فى البيت ، ثم ساق الأمثلة. (٥)

---

(١) السيوطى – السابق – (٤٤٧) – وينظر : ابن المعتز – البديع فى البديع – دار الجيل – بيروت – ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م – (١ / ١٤٠)

(٢) نفسه – (٤٤٧ – ٤٤٨)

(٣) انظر : قدامة بن جعفر – نقد الشعر – (١ /٦٣) وانظر : ابن أبى الإصبع – تحرير التحبير (١/ ٢٢٨)

(٤) انظر : السيوطى – الإتقان – (٤٤٣ – ٤٤٤)

(٥) قدامة بن جعفر – نقد الشعر – (١ /٦٣) – وانظر : ابن أبى الإصبع – تحرير التحبير(٢٣٢/١)

ويقول السيوطى : هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها ، وزعم بعضهم أنه خاص بالشعر ، ورُدّ بأنه وقع فى القرآن من ذلك ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ - اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [يس/٢٠-٢١] ، فقوله : ﴿ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ إيغال ، لأنه يتم المعنى بدونه ، إذ الرسول مهتدٍ لا محالة ، لكن فيه زيادة مبالغة فى الحث على اتباع الرسل والترغيب فيه . (١)

** نماذج تطبيقية لهذه الأنواع الأربعة **

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(٢) ﴿ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾	التمكين	لّما كان معنى التمكين هو تعلق الفاصلة بمعنى الكلام كله تعلقاً تاماً ، وحيث إنه لا كلام قبلها ، لَفَتَنَا ذلك إلى النظر إلى التناسب بينها وبين أواخر سورة النمل ، وفيه قوله تعالى : ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ﴾ [النمل /٩٢] ، فبين هنا أن القرآن هو الكتاب المبين ، وقوله : ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾ [النمل /٩٣] ولا سبيل لمعرفتها إلا إذا كانت بينة واضحة ، وهو ما جاء صدر القصص يصدقه ويمكن له .
(٣) ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾	توشيح	لأن فى أول الآية ما يستلزم الفاصلة ويناسبها فى المعنى ، فالإنباء أو الإخبار بالأمور الغيبية يحتاج إلى التصديق والإقرار من المتلقى ، وهذا هو عين الإيمان ، الذى من أركانه التصديق بالجنان ، وجاء قوله " بِالْحَقِّ " ليؤكد هذه المصداقية ولا سبيل لذلك القبول إلا عند قوم يؤمنون ، وهو ما أكدته الفاصلة.
(٤)﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾	تمكين	ذلك لأن كل ما ذكر فى الآية من فسادة وإفساده يمهد ويؤسس لتلك الفاصلة ، لذا نراها جاءت متمكنة ، غير نافرة ولا قلقة .
(٥) ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾	توشيح	لأن من أفضل ألوان المن على المستضعف الذى يقتل ويشرد ، ولا يأمن فى أرضه أن يكتب له كتاب أمان ، أو يوعد به ، وهذا المعنى فُهِم من صدر الآية ، وجاءت

(١) السيوطى – السابق – (٤٠٢ -٤٠٣)

		الفاصلة لتؤكده صراحة ، وتُبَيِّنَه بعد إجمال .
(٦) ﴿ وَنُرِى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾	توشيح	لأنه عُلِم أن ما سيرونه من الله ﷻ هو غيظ قلوبهم ، وهو ما أرَّقَ مضاجعهم ، وفعلوا من أجله الأفاعيل ، إنه ما كان يحذرونه ، إنه تمكين بنى إسرائيل ، فجاءت الفاصلة لتؤكده وتبينه .

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(٧) ﴿ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾	تمكين	لأن صدر الآية بدأ بـ " أَوْحَيْنَا " والوحى من أخص صفات الرسل ، وإن كان فى حق أم موسى إلهاماً ، وليس وحى إرسال ، ثم تأتى فى أثناء الآية أمورٌ خارقة ، صاحبت مولد هذا الطفل المبارك ، الأمر الذى أسس لدى المتلقى شعوراً بأنه لا يبعد أن يكون ذا شأنٍ ، أو يكون نبياً ، وهو ما أكدته الفاصلة .
(٨) ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾	تمكين	لأن ذكر هؤلاء الأشخاص تحديداً ، وذكر جنودهما ، يؤكد عند المستمع أنهم هم النفر الذى فكّروا وقدّروا ، ودبّروا للإفساد فى الأرض ، لذلك فجرمهم ليس سهواً أو عفواً ، ولذلك فهم خاطئون وليسوا مخطئين . أو أنه لما ذكر أن موسى عليه السلام سيكون لمن التقطه عدواً وحزناً ، فكأن استغراباً وقع من المتلقى ، فسأل ، وكيف ؟! فقيل له إنهم كانوا خاطئين ، أى يتعمدون الفساد والإفساد والكفر والشرك .
(٩) ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾	تمكين	لتعلق معنى الفاصلة بمعنى الآية كلها ، فهم لما أقروها على استبقاء موسى عليه السلام وتربيته فى قصر فرعون وعدم قتله ، كانوا بالفعل لا يشعرون بسوء مآلهم على يديه ، وهو ما مكنت له الفاصلة .
(١٠) ﴿ لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	تمكين	الآية الكريمة مهدت ووطأت للفاصلة ، فجاءت مطمئنة فى مكانها ، ذلك لأنها ذكرت ألواناً من الابتلاءات لأم موسى ، ثم لطف الله بها وربطه على قبلها ، وهذا كله لا يكون إلا مع المؤمن ، فالرجل لا يكون مؤمناً حتى يفتن ويبتلى ،

		مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ الم- حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت / ١-٢]

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(١١) ﴿ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴾	تمكين	لتناسب الفاصلة مع ألفاظ الآية ، فقولها " قُصِّيهِ " ليس فيه معنى المناشدة ، وعلو الجرس كما تنشد الضالة ، ولفظ " عَن جُنُبٍ " يوحى بالبعد عنهم كما لا يخفى ، فناسب ذلك أن يأتى الفاصلة لتؤكد هذا وذاك .
(١٢) ﴿ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾	إيغال	ذلك لأن الكفالة وحدها تكفى فى إحراز المعنى ، " فالكفالة " الضمان ، تقول تكفَّلْتُ بكذا وكفَّلته فلاناً ، وقُرِئ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ أى كفَّلها الله – تعالى – ، ومن خفف جعل الفعل لزكريا ، المعنى تضمنها ، قال تعالى : ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ .(١) ، ثم جاءت الفاصلة لتؤكد المعنى وتزيده قوة إلى قوته وهذا هو الإمعان أو الإيغال .
(١٣) ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾	تمكين	الفاصلة ناسبت ما قبلها من معانٍ ، وبيان ذلك أن أم موسى لما رُجِىَ لها أن تعلم أن وعد الله حق ، لم تعدو أن تكون من القلة القليلة ، أما الكثرة الكاثرة فعلى رأى فرعون وملئه ، فجاءت الفاصلة بعد هذا التمهيد متمكنة فى مكانها ، دونما نفور .
(١٤) ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ﴾	تمكين	لأن الفاصلة ناسبت جميع معانى الآية ، فمن جهة : هى كالتعليل أو الجواب لسؤال ، لماذا أوتى الحكم والعلم ؟ فتأتى الفاصلة تجيب بأنه من المحسنين ، ومن جهة : هى بيانية لكون المحسن لا يؤتى ما يؤتاه إلا بعد بلوغ الأشد واستواء العقل وهو الرشاد .
(١٥) ﴿ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ	تصدير	وذلك لأن كلمة " عَدُوٌّ " ذكرت مرتين قبل الفاصلة ، وكان

(١) انظر : الراغب – المفردات – (كفل) – (٤٣٨)

مُّبِينٌ ﴾		يقصد بها الرجل الذى من عدوه ، لا الشيطان ، ولعل فى تكرارها فى الفاصلة مع الشيطان ، ما يذكِّر المتلقى بأن سبيل الأعداء واحد ، ولابد من المفارقة والمفاصلة بين أهل الحق وأهل الباطل زماناً ومكاناً .

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(١٦)﴿ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾	التصدير والتمكين	أما (التصدير) فلورود لفظه فى الآية مرتين قبل الفاصلة . وأما (التمكين) فلمناسبة اسم (الغفور) لطلب المغفرة والدعاء ، ومناسبة (الرحيم) لمن اعترف على نفسه بالظلم .
(١٧) ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾	توشيح	لمناسبة صدر الآية فى المعنى مع آخرها ، فقوله ﴿ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ يقتضى شكر النعمة ومن لازم الشكر عدم مؤازرة أهل الإجرام .
(١٨) ﴿ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾	تمكين	وذلك لتناسب الفاصلة مع أفعال الرجل فى الآية .
(١٩)﴿ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾	تمكين	وذلك لمناسبة الفاصلة مع إرادة البطش وإرادة القتل وإرادة التجبر فناسب ذلك أن تأتى الفاصلة – على حد زعم القبطى – و ﴿ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ ، وينبغى أيضاً مراعاة المناسبة بين (الجبار) : وهو إذا كان فى صفة الإنسان ، فهو العاتى المتسلط . [1] ، وهذا وهذا يقتضى حمل الناس على الباطل قهراً وقسراً وهذا بخلاف (المُصْلِح) الذى يحمل نفسه وغيره على الخير والهدى برفق وتؤدة .
(٢٠)﴿ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾	توشيح	وذلك للمناسبة الخفية بين الفاصلة ، وصدر الآية ، فالرجل جاء من أقصى المدينة ، وهيئته السعى ، وهذان الأمران من هذا التقى لازمهما الحب لموسى عليه السلام والنصح له فجاءت الفاصلة تؤكد الحال بالمقال .

(١) ابن فارس – مقاييس اللغة – جبر (١ / ٥٠٢) – والمعجم الوجيز – (جبر) – ص (٩١)

(٢١) ﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾	توشيح	وذلك لاتفاق الفاصلة مع الصدر فى المعنى ، فمن يخافه موسى ، ويترقبه ، لا شك أنه ظالم ، لأن موسى عليه السلام كان أطهر من ماء المزن ، وكان أعدل قومه وأقسطهم ، ومَثَلُ مَنْ هذه صفاته ، لا يخاف الناس ابتداءً ، لأنه لم يبدأ أحداً قط بسوء ، وإن خاف فخوفه من ظالم أو طاغٍ

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(٢٢) ﴿ أَن يَهْدِيَنِي سَوَاء السَّبِيلِ ﴾	إيغال	لأن الهداية وحدها تكفى لإحراز طلبته ، ثم جاء قوله: ﴿ سَوَاء السَّبِيلِ ﴾ ليمعن فى معنى الاهتداء والسلامة .
(٢٣) ﴿ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾	تمكين	لأن الفاصلة ارتبطت بما سبقها من معانٍ ، فمن ذلك أن الآية صورت المعاناة التى لاقتها المرأتان ، وشفقة موسى عليه السلام عليهما ، ثم جاءت الفاصلة كالتسويغ لخروجهما واعتذاراً عن الأب الشيخ الكبير .
(٢٤) ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾	توشيح	وذلك للاتفاق بين صدر الآية ، وعجزها ، فَعَجْزُ المرأتين عن السقية ، وسقاية موسى عليه السلام لهما يدل على افتقارهما لمثل قوة موسى عليه السلام ، فجاءت الفاصلة لتؤكد على نفس المعنى ، ولكن بالنسبة إلى افتقار الكليم إلى ربه – جل وعلا –
(٢٥) ﴿ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾	إيغال	لأن قوله : ﴿ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ إيغال وإمعان فى تأكيد عدم الخوف ، الذى قد يصح الوقوف عنده وعدم تعديه ، لكن جاء قوله " **لا تَخَفْ** " إمعان فى المعنى وبشرى من الرجل الصادق العدل ، وخبر العدل معتبر ومقبول .
(٢٦) ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾	تمكين	لأن الفاصلة تناسبت مع جملة المعانى فى الآية ، فمناط اختيار الإجارة أو غيرها من الأعمال أو التكليفات ، مداره على القوة والأمانة .
(٢٧) ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾	إيغال	لأن الآية ختمت بجملة قد يتم المعنى بدونها ، وهى قوله : " وما أريد أن أشق عليك " ، وكونه "من الصالحين" تأكيد لعدم الشقاق عليه ، لأن الصلاح إقساط وعدل ، وفى ذلك

		تأكيد للمعنى .
(٢٨) ﴿ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾	تمكين	لأنه لما عاقده وعاهده على الوفاء بأىّ الأجلين ، خشى من نفسه عدم الوفاء ، لضعف النفس البشرية ، فالتجأ إلى الركن الشديد ، فجعله وكيلاً يعينه ويقضى عنه ، وهو ما عبرت عن الفاصلة ، ومصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ (الأحزاب / ٣) .

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(٢٩) ﴿ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾	إيغال	لأن الجذوة يقصد منها الاصطلاء ، وهو ما تؤكده الفاصلة
(٣٠) ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾	تمكين	لتناسب الفاصلة مع الآية الكريمة ، فالنداء من المولى ﷻ لموسى عليه السلام يلزم عنه إخبار ، وهو ما أسست له الفاصلة ، فجاءت بأعظم خبر ، استأنس به موسى عليه السلام ، وهذا الخبر العظيم توافق مع أعظم نداء ، بوصفه من رب العالمين .
(٣١) ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ وقوله : ﴿ أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ ﴾	إيغال	فى الآية " إيغال " فى قوله : ﴿ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ، ولما كانت "التولية " قد تكون للخلف أو للأمام لقوله : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ ﴾ جاء التأكيد بقوله " مُدْبِرًا " وجاء قوله " لَمْ يُعَقِّبْ " تأكيداً ثانٍ وأيضاً : "الإيغال " فى : " إِنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ " بعد " أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ " .

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(٣٢) ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾	تمكين	الفاصلة جاءت متناغمة مع ما قبلها من الآيات الباهرات ، والحجج النيرات ، التى تكفى الواحدة منها فى إقامة الحجة ، غير أنهم قوم بهت ، يستخفهم فرعون وملأه ، وكل من يُستخف فهو فاسق ، مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ [الزخرف /٥٤] ،

		وهو ما جاءت الفاصلة لتمكن له وتؤسس .
(٣٣) ﴿ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾	تصدير	وذلك لتكرار لفظ (القتل) فى صدر الآية ، والفاصلة .
(٣٤) ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾	توشيح	وذلك للمناسبة فى المعنى بين الصدر والعجز ، فلفظ " أَخِي " يستلزم صفات الحنو والتصديق والمناصرة ، وهو نفس المعنى الذى جاء تطلبه الفاصلة ، لأن هارون عليه السلام مُعِينُهُ ومصدقه إذا كذبوه .
(٣٥) ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾	التمكين	ذلك لأن من لوازم شد العضد ، وجعل السلطان لهما ، وتأمينهما ، من لوازم ذلك كله الغلبة والنصرة ، وهو ما أيدته الفاصلة ، وهو سر تمكنها فى مكانها من الآية .
(٣٦) ﴿ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ ﴾	إيغال	لأن الكلام قد ينتهى عند " وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا " ، أى : فيما سلف ، فجاء قوله : " فِي آبَائِنَا الأَوَّلِينَ " ليؤكد ذلك .
(٣٧) ﴿ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾	تمكين	لأن سياق الكلام فى الآية أشبه بمقام المباهلة بين أهل الحق ، وبين مُدّعِى الإصلاح ، ومثل هذه المفاصلات يلزم منها إفراز نوعين لا ثالث لهما : مُحِقٌّ أو مبُطِل ، ولذلك أتت الفاصلة متناغمة مع هذا المعنى ، دونما تجريح لفصيل دون آخر ، " إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ " .

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(٣٨) ﴿ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾	توشيح	للمناسبة فى المعنى بين الصدر والعجز ، فقوله : " مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِى " نفى العلم عن نفسه لا يلزم عنه نفيه عن غيره ، فصار الحال يشوبه الظن ، ولذلك أتت الفاصلة تراعى وتخدم هذا المقتضى فقال : " وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ " .
(٣٩) ﴿ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ ﴾	توشيح أو تمكين	أما التوشيح ، فللمناسبة اللطيفة فى المعنى بين أول الآية والفاصلة ، فالمستكبر بالنسبة للكبر عبدٌ أسير ، مغلول العقل ، قد حُبِس لُبُّه فى غياهب ظلمات الجهل ، وأبى

		عليه سيده أن يريه الهدى ، الذى هو للعقل كالنور للعين ، فإذا لم يحظَ به ، فالكبر لا يهديه قطُّ سبيلاً ، والمهم أن المستكبر دائماً معزول عن الصواب ، ولذلك يفاجئ بما يكره ، وكبرهم دفعهم دفعاً لظن السوء ، وهو المعنى الذى قررته الفاصلة كما جاء أولاً . وأما التمكين : فلأن هذه الفاصلة تتفق مع معنى هذه الآية ، والتى قبلها ، فكل أفعال فرعون السابقة فى الآيتين تدل على أنّه وقومه قد ظنوا أنهم لا يرجعون إلى رب العالمين
(٤٠) ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾	تمكين	لأن الآية لّما ذكرت إهلاك فرعون وجنوده ، جاءت الفاصلة بمثابة التعليل ، الذى يدعو إلى الاعتبار بحالهم ، وهو عين التناسب بين الفاصلة والآية .
(٤١) ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ ﴾	تمكين	لمناسبة الفاصلة للمعنى قبلها ، فمن عاش فى الدنيا إماماً يدعو إلى النار وإلى طريقها بقوله وفعله ، فإنه لا محالة يوم القيامة مخذول لا ينصر .
(٤٢) ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾	توشيح	يقال فيها : إن الجزاء من جنس العمل ، فكما عاش يدعو إلى الشر ، أُتبع فى الدنيا الذكر السيىء ، وفى الآخرة هو من المقبوحين ، فأتفق الصدر مع العجز فى المعنى ، وهو (الذم) فى الدنيا والآخرة ، وهذا هو التوشيح .

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(٤٣) ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	تمكين	قال الرّاغب فى المفردات : " والتذكرة : ما يُتَذكَّر به الشىءُ ، وهو أعم من الدلالة والأمارة قال تعالى : " فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ " و " كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ " . (١) (**قلت**) : فلما ذكر الله ﷻ آية إهلاك القرون الأولى للاعتبار ، وامتن بنعمة إنزال الكتاب على موسى ، للتبصرة والهداية والرحمة ، صارت كل هذه المعانى تدعو

(١) الراغب الأصفهانى – المفردات – (ذكر) – ص (١٨٥)

		إلى التذكر والتدبر ، فجاءت الفاصلة مؤكدة لهذا المعنى العظيم .
(٤٤) ﴿ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾	تصدير	لتكرار قوله : " وَمَا كُنتَ " فى الصدر والعجز ، وفى ذلك دلالة على تأكيد أن العلم المحيط بكل شىء لا يكون إلا لله عز ذكره .
(٤٥) ﴿ وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾	تصدير	لتكرار قوله : " وَلَكِنَّا " فى الصدر والعجز ، وفيه دلالة على أن الأمر كله بيده وحده لا شريك له ، ويؤكد ذلك الإتيان بضمير العظمة بعد الاستدراكين .
(٤٦) ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	تمكين	ذلك لأن الفاصلة تتسق مع المعانى السابقة فى الآية ، والآية قبلها ، فالأخبار التى سمعوها لم يحضرها محمد ﷺ ولا أحد منهم ، وهى أخبار صحيحة مؤكدة ، ولم يكذبها اليهود ، فكان كل ذلك مدعاة للتذكر والتدبر .
(٤٧) ﴿ فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	إيغال	لأن اتباع الآيات إيمان ، فجاءت الفاصلة لتؤكد ذلك بقوله : "نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " .

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(٤٨) ﴿ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ "	توشيح	لتوافق الفاصلة مع الصدر فى المعنى، فقولهم : " لَوْلا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى " يشعر بالتكذيب لمحمد ﷺ والتكذيب مفتاح الكفر ، وهذا المعنى فهم من صدر الآية ، وهو ما أكدته الفاصلة صراحةً بالمنطوق .
(٤٩) ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾	تمكين	لأن المقام مقام تعجيز ، فناسب ذلك التشكيك فى صدقهم ، وهو ما وضحته (إن) الشرطية ، التى معناها عدم تحقيق الكائن والشك فى وقوعه .
(٥٠) ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾	إيغال	لأن الذى يتبع هواه بغير هدًى من الله ، ظالم ، وهو إن لم يكن ظالماً لغيره فلنفسه ، وهو ما أمعنت فيه الفاصلة وأكدته .

(٥١) ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾	تمكين	لأن الكلام لما كان عن أصحاب الكتابين ، وقد رأوا أن التوراة والقرآن من مشكاة واحدة ، فكان ذلك أدعى إلى التذكر والتفكر .
(٥٢) ﴿ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾	توشيح	للاتفاق فى المعنى بين الصدر والفاصلة ، فمن أوتى الكتاب مؤمن بالضرورة ، وهو ما أتت الفاصلة لتؤكده .
(٥٣) ﴿ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾	إيغال	لأن قولهم : " إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا " هو عين الإسلام ، وكان يمكن الاكتفاء بهذا المعنى ، ولكن أتت الفاصلة بنكتة قد يتم الكلام بدونها ، بيد أنها أفادت توكيد المعنى وفى ذلك دلالة على فرح أهل الكتاب المذكورين بالإسلام فرحاً شديداً .
(٥٤) ﴿ وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ "	إيغال	لأن المعنى قد يكتفى بقوله : " بِمَا صَبَرُوا " ، ولكن أكد بقوله : " وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ " وكان يصح الاكتفاء به ، ولكن ختمت الآية بصفة أخرى لهؤلاء المؤمنين بأنهم " وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ " وفى ذلك دلالة على تعدد صفات الخير للمستحقين لهذا الفضل المبين .

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(٥٥) ﴿ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾	تمكين	لتناسب الفاصلة والمعانى السابقة ، فاللغو وباقى أعمال الكفار من أعمال الجاهلية التى لا يبغيها عاقل فضلاً عن أهل الإيمان .
(٥٦) ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾	تصدير وتمكين	لتكرر لفظ (الهداية) فى الصدر والعجز جاء التصدير ، وأما التمكين ، فلأن لفظ (المهتدين) ، معناه طالبون الهداية ، فصارت الفاصلة كالتعليل لهداية الله لأقوام دون غيرهم لطلبهم الهداية والسعى إلى سبلها .
(٥٧) ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾	تمكين	لأن الفاصلة توافقت وكل ما سبقها من معانٍ ، فدعوى التخطف من أرضهم حال الإيمان بالله وبرسوله ﷺ يدحضها حقيقة المن عليهم بالأمن والأرزاق حال كفرهم ، وهو أمر لا يحتاج إلى الدلائل والأمارات ليظهر ، ولذلك جاءت الفاصلة " وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ " ولم تأتِ لا

		يتذكرون .
(٥٨) ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾	تمكين	وذلك للتناسب بين الفاصلة ومعانى الآية ، فلما ذُكِر الهلاك والفناء لقوى الشر ، ناسب ذلك ذكر البقاء للخير ، وأنه لا يفنى ولا يزول ، لأنه من لوازم قيومية الله ﷻ ، فجاءت الفاصلة تمكّن لهذا المعنى : " وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ " .
(٥٩) ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾	تصدير	وذلك للاتفاق فى اللفظ بين صدر السورة فى قوله : " وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى " مع الفاصلة ، وفى ذلك دلالة على انتفاء الظلم عن الله ﷻ ، وأن أمره يدور بين العدل والفضل ، فتعليق الإهلاك والعذاب على إرسال الرسل أو ظلم الناس منتهى العدل ، ويؤكد ذلك تكرار اللفظ " وَمَا كَانَ " التى تدل على (الاستحالة) ، أى : استحالة الظلم ، فكانت فائدة التصدير تأكيد صفة العدل لله عز وجل .

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(٦٠) ﴿ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾	التمكين	لأن الفاصلة تتناسب مع سياق الآية ، التى توازن بين متاع الدنيا الزائل ، وبين متاع الآخرة غير المقطوع ، ولا شك أن هذه مفارقة تحتاج إلى نظر وتعقّل ، وهو ما أكدته الفاصلة .
(٦١) ﴿ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾	إيغال	لأن الآية ما زالت فى سياق المفاضلة ، بين متاع الدنيا ومتاع الآخرة ، والكلام قد يُكتفى به عند قوله " أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " ، لكن أتت الفاصلة لتمعن فى زيادة المعنى ، وتبين أنه وإن لم ينتفع بمتاع الدنيا ، وهذا وحده يكفى ، فزيادة عليه أنه يوم القيامة من المحضرين ، وهذا جِماع الخسارتين .
(٦٢) ﴿ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾	تمكين	لأن المقام لما كان مقاماً تعجيزياً ، فناسب المُعجِز مخاطبة العاجز بالزعم ، الذى مفاده الكذب والتخرص ، وهو ما أفادته الفاصلة .
(٦٣) ﴿ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾	توشيح	للمناسبة اللطيفة فى المعنى بين صدر الآية والعجز ، فمَنْ حق عليهم القول ، لابد أن يروا العذاب ، ولازم ذلك التبرؤ

		من كل ما يثقل كاهلهم منه ، ومن ذلك أتباعهم وعابدوهم ، وهذا المعنى بعينه جاءت به الفاصلة صراحة للتأكيد على عظم عذاب الله لهم يومئذٍ .
(٦٤) ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾	توشيح	يقال فيها ما قيل فى سابقتها ، بأنهم حين طُلِبَ منهم دعوة شركائهم على سبيل التعجيز والتقريع تمنوا لو كانوا مهتدين ، وهو معنى الفاصلة .
(٦٥) ﴿ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾	تمكين	لأن الفاصلة بيّنت ما أُجمِل فى صدر الآية ، وأن مفاد النداء هو قوله " مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ " .

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(٦٦) ﴿ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ ﴾	تمكين	لأن الفاصلة كالنتيجة لما قبلها ، قال القرطبى – رحمه الله – : " فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنبَاء يَوْمَئِذٍ " أى : خفيت عليهم الحجج ، قاله مجاهد ، لأن الله قد أعذر إليهم فى الدنيا فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة . (١) ، فلما خفيت عليهم عليهم الأنباء ، فسؤالهم وعدمه فى هذا الموضع سواء ، وهذا ما فسرته الفاصلة .
(٦٧) ﴿ فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾	تمكين	لأن من تاب وآمن وعمل صالحاً ، لا يُنْتَظر له إلا سبيل الفلاح فى الغالب .
(٦٨) ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	تمكين	لما كان اختيار الله ومشيئته مما ينفرد بهما الله ﷻ ، كباقى صفاته ، أثبتهما لنفسه ، ونفاهما عن غيره ، ثم جاءت الفاصلة لتنزيهه عن المشاركة فى اختياره ومشيئته ، لأن ذلك من جملة الشرك الذين نهينا عنه .
(٦٩) ﴿ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾	إيغال	لأن قبلها " وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ " وبالقياس الأولوىّ ، من يعلم السر فالجهر أولى ، وهو ما أمعنت فيه الفاصلة ، وفيه دلالة على استواء الأمرين فى علم ﷻ .
(٧٠) ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي	تمكين	الفاصلة جاءت تمكن لمعنى " لا إله إلا الله " ، والتى من

(١) القرطبى – الجامع لأحكام القرآن – (٢٤٣/١٣)

ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾		معانيها : لا معبود بحق إلا الله ، ثم جاء ثبوت الحمد له فى الأولى والآخرة ، ومن لوازم ذلك أن مَنْ هذه صفاته هو المختص بالحكم والفصل بين الخلق يوم يرجعون إليه .
(٧١) ، (٧٢) ﴿ أَفَلا تَسْمَعُونَ ﴾(٧١) ﴿ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾(٧٢)	تمكين	وذلك لمناسبة كل فاصلة مع ما قبلها من معانٍ ، فالفاصلة الأولى : " أَفَلا تَسْمَعُونَ " ناسبت جو الليل السرمدى ، الذى يكثر الإدراك فيه ويعتمد فى الأكثر على السمع ، والفاصلة الثانية " أَفَلا تُبْصِرُونَ " ناسبت النهار والضياء السرمدى الذى يعتمد الإدراك فيه فى الأكثر على البصر .

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(٧٣) ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	تمكين	وذلك لأنه لما ذكر تعاقب نعمتى الليل والنهار علينا ، وما يلزم عنهما من اتساق الأمور الكونية ، فناسب ذلك شكر النعم ، ولما كان الإنسان بطبعه ظلوماً كفوراً ، قال تعالى : " وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " .
(٧٤) ﴿ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾	تمكين	وذلك لتناسب الفاصلة مع السؤال التعجيزى . كما سبق .
(٧٥) ﴿ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾	إيغال	لأن قوله : " وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ " ، هو تأكيد أن الحق مع الله وحده ، وليس مع آلهتهم التى أشركوا بها مع الله ، ولذلك ضلت عنهم .
(٧٦) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾	تمكين	لأن الباغى فَرِحٌ فَرَحَ بطر ، ومن أوتى مثل ما أوتى قارون مع عدم الإيمان يفرح هذا الفرح ، ولذلك نهاه صالحو بنى إسرائيل ، وجاءت الفاصلة لتؤكده ، مع التحذير منه ، لكون الله ﷻ " لا يحبه " .
(٧٧) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾	تمكين	عُلِم من حال قارون التفريط فى جنب الله ، فذكّره قومه تذكرةً تقربه من ربه وتذكّره بفضله عليه فى قوله : " فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ " ، وقولهم : " كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ " ، ولمّا كان حاله الإعراض جاءت الفاصلة لتؤكد أن من لم يراعِ هذه المِنَن رجل فاسد ، وذلك فى قوله " إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " ، فالفاصلة جاءت لتمكن فى نفس المتلقى حال الفساد الذى

		كان عليه قارون ، وهو ما لا يحبه الله ﷻ لعباده .
(٧٨) ﴿ وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴾	تمكين	لاتساق الفاصلة مع قول قارون " إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِى " ومع طغيان من قبله من القرون ، فهؤلاء وقارون حُقَّ فيهم قوله تعالى فى الفاصلة : " وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ " ، فصار عدم سؤالهم معاقبةً لهم على قولهم الذى هو نقيض الحق ، وافتخارهم بهذا الزيف .

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(٧٩)﴿ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾	إيغال	لأن ما قبلها قد يُكتفى بالوقوف عليه، فقولهم " يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِىَ قَارُونُ " تمنٍ ، مقتضاه اعترافهم بلسان حالهم أنه ذو حظ عظيم ، وهو تؤكده الفاصلة ، وقد يقال فيه كذلك : **توشيح** ؛ لأن من لوازم تمنيهم مكانه أنه ذو حظ عظيم .
(٨٠) ﴿ وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴾	تمكين	لأن من أنواع الصبر ، صبر عن المعصية ، وصبر على الطاعة ، فقولهم : " وَيْلَكُمْ " أى : لا تفعلوا فعل قارون ، وهو الصبر عن المعصية ، وقولهم : " ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا " ترغيبٌ فى الصبر على الطاعة ، وجاءت الفاصلة تؤكد هذه المعانى فى الجملة " وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ "
(٨١) ﴿ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴾	تمكين	لما أخبرت الآية الكريمة عن الخسف بقارون وبداره ، وهذا مقتضاه انتفاء الحول والقوة عنه ، وعمن معه ، فناسب ذلك ختم الآية بقوله : " فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ "
(٨٢)﴿ وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾	تصدير وتمكين	أما التصدير ، فلتكرار " وَيْكَأَنَّ " فى الصدر والعجز وأما التمكين : فلتناسب الآية مع حالة التعجب التى ألمت بالذين تمنوا ما أوتى قارون ، ومبعث التعجب أنهم تعجبوا من حالهم الذى سوّغ أن يخسف الله بهم ، غير أنه رحمهم ، فجاءت الفاصلة لتؤكد هذا المعنى وتتسق معه .

(٨٣) ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	تمكين	لما تحدث الله ﷻ عن الدار الآخرة وهى الجنة – كما فسرها العلماء – [١] ، وتحدث عن أوصاف أهلها ، ناسب ذلك ختم الآية بقوله " وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ " .

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(٨٤) ﴿ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا ﴾ والفاصلة الأخرى ﴿إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	تمكين	فى الآية الكريمان فاصلتان متمكنتان ، الفاصلة الأولى : قوله " فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا " لبيان فضل الله مع المحسنين ، والفاصلة الثانية : قوله : " إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " لبيان عدل الله ﷻ مع المسرفين ، وكلا الفاصلتين بيان لأن أمر الله ﷻ يدور بين الفضل والعدل ، ولا ظلم عنده ، ، فله الحمد والمنة .
(٨٥) ﴿ أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِى ضَلالٍ مُّبِينٍ ﴾	إيغال	لأن مفهوم قوله تعالى : " أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى " هو منطوق الفاصلة : " وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ " وفى ذلك تأكيدٌ على إحاطة علم الله ﷻ ، وتعريضٌ بكفار مكة لمّا وسموا النبى ﷺ بأنه فى ضلال مبين . [٢] .
(٨٦) ﴿ فَلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴾	تمكين	لأن الله ﷻ ذكّر النبى ﷺ بفضله عليه واصطفائه بالرسالة ، فكان من لوازم ذلك شكر هذه النعمة ، ومن مقتضيات الشكر عدم مناصرة ومؤازرة الكافرين وهو ما أكدته الفاصلة .
(٨٧) ﴿ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	تمكين	لمل كان ديدن المشركين الصدَّ عن آيات الله وتكذيبها ، والانتصار للشرك الذى هم عليه ، والنبى ﷺ ديدنه الأمر بالدعاء إلى الله ، أى : إلى التوحيد ، كما قال القرطبى . [٣] [٣] ، ناسب ذلك أن تأتى الفاصلة لتحذر النبى ﷺ من الركون إلى المشركين ، أو الكف عن الدعوة إلى التوحيد ، وهذا معنى : " وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ " .

---

(١) القرطبى – السابق – (١٣ / ٢٥٦)

(٢) نفسه – (١٣ / ٢٥٧)

(٣) القرطبى – السابق – (١٣ / ٢٥٧)

رقم الآية	نوع الفاصلة	التحليل
(٨٨) ﴿ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ﴾ والفاصلة الأخرى ﴿ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	تمكين	أما الفاصلة الأولى : فمبعث التمكين فيها ، أن النهى عن عبادة غير الله مفاده أنه لا معبود بحق إلا الله ، وهو معنى الفاصلة " لا اله إلا الله " وأما الفاصلة الثانية : فمبعث التمكين فيها ، مناسبتها لمعنى قوله : " كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ " ، ولازم ذلك أن من له صفة البقاء يكون له الحكم فى الدنيا ويوم الرجعة إليه يوم الدين ، وهو ما بينته الفاصلة " لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " .